القاموس الإسلامي للناشئين والشباب



(١١)

انتشار الإسلام في إفريقيا

مكتبة العبيكان

القاموس الإسلامي

للناشئين والشباب

١١١

انتشار الإسلام في إفريقيا

إعداد :
محمد علي الهمشري
السيد أبو الفتوح
علي إسماعيل موسى

مكتبة العبيكان دار أراكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الهمشري، محمد علي

انتشار الإسلام في أفريقيا : محمد علي الهمشري، السيد أبو الفتوح، علي إسماعيل موسى – الرياض.

... ص؛ ..سم (القاموس الإسلامي للناشئين والشباب؛ ١١)

ردمك: ٣-٣٩١-٢٠-٩٩٦٠

١– العقيدة الإسلامية ـ معاجم ٢– الفكر الإسلامي ـ معاجم ٣– الحضارة الإسلامية ـ معاجم أ– أبو الفتوح، السيد (م. مشارك) ب– موسى، علي إسماعيل (م. مشارك) ج– العنوان د– السلسلة

ديوي ٣، ٢٤٠ ١٨/٠٦٩٠

ردمك: ٣-٣٩١-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع : ١٨/٠٦٩٠

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ / ١٩٩٧

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

القاموس الإسلامي للناشئين والشباب

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله ومن سار على دَرْبه واتَّبعَ هداه إلى يوم الدين.

أما بعد،،

فإن أسمى رسالة يكرّس الإنسانُ لها نفسه هي رسالة تربية جيل مسلم، يرعى اللهَ في شئون دينه ودنياه، ويحمل الأمانةَ للحفاظ على دستور الإنسانية الخالد، كتاب الله الكريم، وهَدْي رسوله الأمين ﷺ، ويسلك في هذه الحياة وفقا لقواعد السلوك الإسلامي الصحيح.

وواقع الأمر أن الاهتمام بالعلوم الإسلامية والتربية الدينية ليس مسئولية المدرسة وحدها؛ فالخطط الدراسية توزَّع على مواد التعليم المختلفة، والمناهج مزدحمة، وعدد الساعات المخصصة لكل مادة لا يقبلُ الزيادة،

والكتب المدرسية تقلَّصَت وظيفتُها في كثير من الأحيان. واقتصرَت على تقديم القدر ـ من المعلومات ـ الذي يَسمح بنجاح الدارس في الامتحان. ولا يَستطيعُ أحد أن يَتجاهلَ أن حاجة الناشئ المسلم ماسّة إلى مرجع وافٍ يجيب عن مختلف الأسئلة التي تَعرِض له في حياته اليومية، فضلا عن أن يُشْبعَ ظمَأه للقراءة الحرة التي تجلبُ له المتعة، من خلال الاطلاع على محُدّدَات سلوك المسلم، في مجال الطهارة والعبادات وغيرها، إلى جانب الاطلاع على التراث الإسلامي، وأمجاد الإسلام على مر العصور.

ومن حاجة الشباب المسلم بعامة، والناشئينَ بخاصة، نَبعَت إذن فكرةُ إصدار هذا القاموس:

«القاموس الإسلامي للناشئين والشباب»

***

وفيما يلي مزيد من التعريف بهذا القاموس:

* إنه قاموسٌ متخصص، يُعالجُ المصطلحات الدينية اللازمةَ لتثبيت المفاهيم الإسلامية الصحيحة لدى الناشئين والشباب في العبادات والمعاملات، ويوفّر لهم الزادَ اللازمَ عن أبرز معالم الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، والقيم التي أرساها الإسلام، ورسَّخَ أصولَها.

وإذا كان العُرْفُ قد جرى على أن يكونَ القاموسُ مرجعًا يَرجعُ إليه القارئُ للكشف عن أصل مفردة من المفردات، وعن اشتقاقها أو عن معناها وكيفية استخدامها فإن هذا القاموسَ المتخصصَ يؤدي إلى جانب هذا وظيفة أخرى في مجاله؛ إذ يُعد مصدرًا للقراءة المتصلة، وللمعرفة والمتعة في كل مَدْخل من المداخل التي يعالجها؛ فهو يشرحُ المفهومَ الديني الذي يتضمنه المدْخَلُ (المفردة)، ويعرِضُ لاستخدامه في الآيات القرآنية وفي الحديث الشريف، ويعالجُ الاشتقاق اللغوي من زاوية الثقافة والمعرفة الدينية بشكل أساس. ويستطيع المستفيدُ من القاموس أن يعتمدَ على المادة المعروضة تحت كلّ مدخل على أنها مصدر قرائي يضم مادة متكاملة، وليس مُجردَ ثَبت بقوائم للمفردات ومعانيها.

* وهذا القاموسُ يضع يدَ القارئ على المفردات أو المصطلحات الدينية الأساسية المتداولة في كتاب الله الكريم، وفي كتب الحديث وكتب الفقه، والتي تتجمعُ حولها المفاهيمُ الأساسية التي تشكلُ تفكير الإنسان المسلم وسلوكَهُ وممارساته.

وتلك المفرداتُ أوالمصطلحات هي «المدَاخلُ» المعروضةُ في أبواب القاموس.

ومن هنا فإنه عُمِد إلى وضع أجزاء تحوي بين دفتي كل جزء منها شرحًا وتفسيراً لما استُغلق على الفهم، أو توضيحًا لما استتر. وهذه الأجزاء هي:

(١) العقيدة.
(٢) الطهارة.
(٣) الصلاة.
(٤) الزكاة.
(٥) الصوم.
(٦) الحج والعمرة.
(٧) الجهاد.
(٨) الأسرة المسلمة.
(٩) المعاملات الإسلامية.
(١٠) انتشار الإسلام في آسيا.
(١١) انتشار الإسلام في إفريقيا.
(١٢) انتشار الإسلام في أوروبا.
(١٣) نظم الحكم في الإسلام
(١٤) ازدهار العلوم والفنون الإسلامية.
(١٥) مفاهيم وقيم إسلامية.

* * *

* تعالَجُ في كل جزء من أجزاء القاموس - وبترتيب ألفبائي - المداخلُ الرئيسة التي تقعُ فيه، والتي وقعَ الاختيار عليها من قِبَل القائمين بإعداد مادة القاموس، وذلك بعد عملية مسح شامل للمصادر الأم في الموضوع، وبعد عملية انتقاء دقيقة تم من خلالها استبعادُ المداخل غير الأساسية، التي يتضحُ عدمُ شيوع استخدامها، وعدم حاجة الناشئة إليها بدرجة كبيرة في هذه الفترة من حياتهم.

* وقد رُوعِيَ في المداخل التي يقدمُها القاموسُ أن تكون في صيغة الاسم أو المصْدر، وليس في صيغة الفعل الثلاثي، كما هي الحالُ في معظم القواميس اللغوية؛ وذلك مراعاة للغرض من القاموس، باعتبار أنه قاموسٌ متخصص، ومراعاة لاحتياجات القارئ الذي يواجه - على الأرجَح - مُصطلحا دينيّا يريدُ تعرُّفَه، وهذا المصطلحُ غالبا ما يكونُ في صيغة المصدر، وربما لايستطيع القارئ أن يعودَ بالمُصطلح الذي يواجههُ إلى فعله الأصلي مجردًا، كما أنه - على الأغلب - لا يريدُ أن يدخلَ في متاهة الاشتقاقات اللغوية التي قد تبعده عن غايته، وتعوق استفادته المنشودة.

* ويحرصُ القاموسُ على تقديم الخرائط للشرح و التعريف كلما كان هذا ممكنا؛ دعمًا لأهدافه في كونه موجَّها لفئة معينة من أبنائنا الطلاب والطالبات، وهم الناشئة والشباب. فالغرض أن يستفيدَ منه الصغير والكبير ناشئا وشابا.

ولكي يكون استخدام القاموس يسيرًا على المستفيد منه حرصنا أن نقدم في الصفحات الأخيرة من كل كتاب بيانًا شاملا بمحتواه الذي يعرضُ لجميع المداخل التي يضمُّها الكتاب. وقد رُتبت هذه المداخل ترتيبا ألفبائيّا، ليسهُلَ على المستفيد العثور على موضع المدخل الذي يريد. وسوف يجدُ من خلال هذا البيان: العنوان، ورقم الصفحة التي تحويه.

وإذا ما أراد القارئ البحث عن مفردة ما فعليه أن يسقط أداة التعريف (ال) من المدخل - إن وجدت - حتى يعثر على الحرف الذي يبدأ به المدخل في الترتيب الألفبائي؛ فمفردة مثل (التأويل) يبحث عنها في المدخل المبدوء بالتاء، و(الحساب) يبحث عنها في المدخل المبدوء بالحاء (حساب)، و(الخاتم) يبحث عنها في المدخل المبدوء بالخاء (خاتم). . وهكذا.

التأويل: تبدأ بالتاء (تأويل).

الخاتم : تبدأ بالخاء (خاتم).

الوحي : تبدأ بالواو (وحي).

* * *

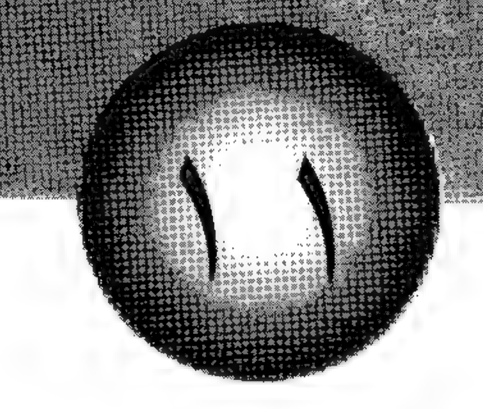
* وإذا كان هذا (القاموسُ الإسلاميُّ للناشئينَ والشباب) - فيما نَحسب - محاولةً غير مسبوقة في صياغته وإعداده، وفي الفئة التي أُعِدَّ من أجلها إعداداً يتناسبُ في مادته ولغته وأسلوب عرضه مع احتياجاتها الفكرية والنفسية والتربوية، فإن مكتبةَ العبيكان ودارَ أراكان اللتين كان لهما فضلُ هذه المحاولة لتؤمنان بأنهما قد خاضتا التجربة بعزم وإصرار؛ مستهدفتين وجه الله، حريصتين على أن توفرا للشباب والناشئينَ مرجعًا ميسَّرا، يكونُ لهم نعْمَ الرفيق في مسيرة حياتهم التعليمية والعملية.

* * *

وإن «**العبيكان**» و«**أراكان**» لترجوان في الوقت نفسه أن تتلقّيا تعليقات السادة المربين وآراءَهم في هذا العمل، أملاً في تطويره في الطبَعات القادمة بإذن الله تعالى.

إن نريدُ إلا الإصلاحَ ما استطعنا، وما توفيقنا إلا بالله، عليه توكلنا وإليه أنبنا. والحمدُ لله أولاً وآخراً..

أسرة تحرير
القاموس الإسلامي



انتشار الإسلام في إفريقيا

* انتشار الإسلام في شرق إفريقية :

يقصد بشرق إفريقية المناطق التي تضم الآن الصومال والحبشة وإريتريا والجزر المواجهة للساحل الإفريقي الشرقي .

وقد اتجه العرب المسلمون منذ عهد سحيق إلى الهجرة إلى إفريقية عبر البحر الأحمر ، وكان لسكان حضرموت سهم كبير في تلك الهجرات ؛ فقد ركبوا البحر ، وحملوا معهم الإسلام إلى شرق إفريقية ، وتزاوجوا مع السكان الأصليين ، وارتبطوا بهم ؛ مما كان له أثر في نشر الإسلام .

وكانت هناك هجرات من اليمن والحجاز وحضرموت ، نزلت تلك البقاع ، ومنها إلى السودان ، واختلطت بالسكان ، وتحولت (أرض البجة) إلى إقليم عربي مسلم بسبب الهجرات المتتالية التي نزلت بها في نهاية القرن السابع الميلادي ثم في منتصف القرن الثامن الميلادي عقب سقوط الدولة الأموية ، وصارت اللغة العربية لغة أكثر السكان .

وقد نزل المهاجرون المسلمون في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي (بربرة) ، وحوّلوا الكثيرين من أهل البلاد الأصليين إلى الإسلام .

وكان السودان يستقبل المهاجرين المسلمين من الشمال أيضاً ، واستقر العرب المسلمون في بلاد النوبة ، وعلى ضفاف النيل الأزرق ، وقامت دولة الفونج المسلمة في إقليم النوبة ٩١٢هـ/ ١٥٠٥م .

والمسلمون في دولة كالحبشة أكثرية اليوم، ولكنها أكثرية مغلوبة على أمرها؛ فالسلطة في يد النصارى الذين يجعلون النصرانية طابع الدولة، وتبرز الحبشة - بالقوة لا بالعدد - على خريطة العالم جزيرةً نصرانية وسط محيط من المسلمين.

ومع مجيء القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي كان للمسلمين سبع ممالك موزعة على الساحل الشرقي الإفريقي وداخل القارة، كان أهمها مملكة أوفات المجاورة لخليج عدن، وميناؤها زيلع، وكذلك كانت منطقة هرر، تقع بين هذه الممالك، وكانت تابعة للحبشة، لكن المسلمين استولوا عليها. وكانت زيلع هي الميناء التجاري لهرر.

وكان شرق إفريقية يوصف بأنه سلطنات عربية إسلامية، وكانت هناك سلطنات مشابهة في مقديشو - عاصمة الصومال الآن - وهي التي أسسها المهاجرون من العرب المسلمين وفي الجزر المقابلة للساحل، وعلى ساحل البحر الأحمر والمحيط الهندي.

ومما عزز الوجودَ الإسلاميَّ في شرق إفريقية قدوم هجرة فارسية من شيراز ببلاد فارس في القرن العاشر الميلادي على مجموعة من السفن، رست في أماكن متعددة من الشاطئ الشرقيِّ لإفريقية في ممباسا وبمبا في المكان الذي أقيمت فيه فيما بعد مدينة كُلْوَا.

ولقد ازدهرت إمارة كُلْوَا في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وأصبحت من أكثر الأماكن رقيا وحضارة، وتوطدت صلاتها بسلطنة زنجبار على الساحل الإفريقي الشرقي أيضاً، وأنشئ بها مسجد وأبنية ظهر فيها الطابع الشيرازي الفارسي.

وكان التجار المصريون يفدون إلى بلاد الحبشة، ويقيمون بها في مواسم التجارة، ويوطدون صلتهم بالزعماء، ويعملون على نشر الإسلام. ومن قبل كانت الحبشة ملاذ المسلمين. ولم يقتصر الأمر على الهجرات الأولى في مبدأ الدعوة الإسلامية فراراً من كفار مكة.

***

إريتريا:

تقع إريتريا بين السودان وإثيوبيا (الحبشة) وجيبوتي. وتمتد شواطئها على البحر الأحمر من رأس قصار في حدود السودان الشرقي إلى باب المندب ـ الباب الجنوبي للبحر الأحمر ـ وتمتلك إريتريا شاطئاً طويلاً به ثلاث موانئ مهمة على البحر الأحمر، هي عصب ومصوع وتكلاي، إلى جانب ميناء أدوليس. كما توجد بإريتريا عدة مطارات، أهمها أسمرا.

ويبلغ عدد سكان إريتريا ثلاثة ملايين نسمة. واللغة الرسمية هي اللغة العربية والتجرينية. وتنتج إريتريا جميع أنواع الفاكهة والخضراوات والحبوب والقطن والبن والسمسم والفول السوداني والصمغ، كما توجد ثروة هائلة من المواشي منها الضأن والماعز والبقر والإبل.

وإريتريا غنية بالمعادن؛ حيث يوجد بها المايكا والحديد والذهب والمنجنيز.. واكتشف بها البترول، ولكن لم يستغل بعد.

حُكِمَتْ إريتريا بواسطة الأتراك فترة طويلة، ثم كانت إريتريا في القرن التاسع عشر ومعها الصومال وليبيا من نصيب إيطاليا؛ إذ في عام ١٢٩٦هـ/ ١٨٦٩م، تمكنت شركة روباتينو الإيطالية للملاحة من شراء ميناء (عصب) من أحد السلاطين بالغش والخداع، وعندما جلت قوات خديوي مصر من محافظة مصوع في عام ١٢٠٣هـ/ ١٨٨٥م استولت عليها إيطاليا، ثم وضعت إريتريا تحت الحماية البريطانية في عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م. وفي عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م قررت الأمم المتحدة إقامة وحدة فيدرالية بين إريتريا وإثيوبيا، بحيث تكون هناك جنسية واحدة لكلا الشعبين: الأثيوبي والإريتري، هي الجنسية الإثيوبية. وخرجت القوات البريطانية من إريتريا عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م، لتحل محلها قوات إثيوبية.

- وفي عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، أعلنت إثيوبيا ضم إريتريا إليها بالقوة العسكرية، وجعلتها الولاية الرابعة عشرة في الإمبراطورية الإثيوبية، وخاض الشعب الإريتري معركة كفاح طويلة، استمرت حتى حصل على استقلاله كاملاً عن إثيوبيا في ٢٥ / ٥ / ١٩٩١م، وأصبحت إريتريا جمهورية مستقلة.

جيبوتي:

تقع جيبوتي على الساحل الإفريقي لبوغاز باب المندب، ويمتد شاطئها من رأس داميرا في الشمال إلى لوي عدي في الجنوب الشرقي بطول ٣٧٠ كيلو متراً. ويرجع سبب هذا الامتداد الطويل إلى توغّل خليج تاجوره الذي يتبعه خليج قبة الخراب صوب الداخل نحو الغرب، ويحدُّ جيبوتي شمالاً صحراء دنكاليا، وغرباً الصومال الغربي الذي تحتله إثيوبيا، وجنوباً الصومال الديمقراطية، وشرقاً خليج عدن، وتصل مساحة جيبوتي إلى نحو ٢٣٠٠٠ كم^{٢}، وسكان جيبوتي من الصوماليين والعفر، ويصل تعدادهم إلى ٢٦٠٠٠٠ نسمة. ويقطن الأول في البلاد جنوب خليج تاجورة على امتداد خط يمرُّ في اتجاه قبة الخراب إلى داخل الصومال الغربي المحتل، أما الأخيرون فيسكنون شمالاً ابتداء من تاجورة إلى داخل إريتريا، وغرباً إلى داخل إثيوبيا، وقد تمازج السكان على مدى التاريخ في شتى المناطق منذ عهد سحيق. وينتمي العنصران إلى سلالات عربية، ويتحدان في العادات والتقاليد والدين، ويتصلان بالعالم العربي بوحدة الثقافة والتاريخ والعقيدة.

وأراضي جيبوتي قاحلة في غالبها، وتتكون من:

- شريط ساحلي ضيق، يتدرج في الاتساع نحو الشمال، بحيث يكون عرضه ٢٠كم عند رأس داميرا الواقع عند المدخل الجنوبي لباب المندب، وأما عرض الساحل الجنوبي الشرقي عند حدود جمهورية الصومال الديمقراطية فلا يزيد عن ٣ إلى ٤ كيلومترات.

- ويحيط بالساحل من الغرب سلسلة من الجبال البركانية ذات الصخور السوداء التي تتدرج في الانخفاض كلما اتجهنا نحو الجنوب الشرقي، ويخترق هذه السلاسل من الجبال وديان جافة تجري فيها المياه في موسم الأمطار متجهة من الغرب إلى الشرق لتلتقي البحرَ.

* وتوجد في الداخل أحواض من السهول الفسيحة التي تحيط بها غالباً سلاسل من المرتفعات تتميز بالنشاطات البركانية، مما يتسبب في حدوث هزات عنيفة بين سنة وأخرى.

ومناخ جيبوتي حَارٌّ، وتنقسم السنة إلى فصلين، فصل يكون فيه الطقس معتدلاً نسبيا مع رطوبة مرتفعة - من نوفمبر إلى مارس - والمطر فيه نادر. وفصل يكون فيه الطقس حارا، لكن درجة الحرارة والرطوبة تختلف وتتباين.

وتبلغ مساحة الأراضي المزروعة في جيبوتي نحو ٣٠٠٠ هكتار من مجموع ٢٣,٠٠٠ كم٢، هي مساحة أراضي جيبوتي. وهكذا فإن ٩٠٪ من أراضي جيبوتي صحراء، ١٠٪ منها يسكنها الرعاة الصوماليون، والعفر الذين يعيشون على تربية المواشي.

وينتج الإقليم الجلود وبذور الزيت والبلح واللآلئ والأسماك وقليلا من البن والحبوب، والملح الذي يُعدُّ من أهم المعادن.

والتجارة هي العنصر الأساس في اقتصاد البلاد. وتوجد في جيبوتي منطقة حرة يتم فيها مرور بضائع الترانزيت بحرية، غير أن التجارة في داخل البلاد تعاني ضيق الأسواق المحلية، وانعدام القوة الشرائية باستثناء جيبوتي التي يوجد فيها عدد كبير من الموظفين الفرنسيين والمحليين.

وميناء جيبوتي من أحدث موانئ إفريقية وأكثرها تجهيزاً بالوسائل والخدمات اللازمة، ويرتبط بأديس أبابا في الحبشة بخط للسكك الحديدية.

بدأ الوجود الفرنسي في جيبوتي عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م، ولجأت فرنسا إلى المال لشراء الأراضي في جيبوتي من الأعيان والحكام هناك، وفي عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، أصبح لجيبوتي (الصومال الفرنسي) حالة إقليم ما وراء البحار في إطار الجمهورية الفرنسية. وقد حصلت جيبوتي على استقلالها في ٢٧ / ٦ / ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، وأصبحت جمهورية مستقلة استجابة لقرارات مؤتمر كمبالا.

***

زنجبار:

إمبراطورية الزنج في زنجبار من القرن الرابع الهجري إلى القرن الرابع عشر/ العاشر الميلادي إلى القرن العشرين.

امتد تاريخ إمبراطورية زنجبار الإسلامية عدة قرون، واتسعت رقعتها اتساعاً كبيراً، كثر عدد سكانها، واحتلت موقعاً استراتيجيا مهما، لكن الاستعمار نجح

أخيراً في القضاء على تلك الإمبراطورية فمزقها إلى أشلاء. وقد اختفت هذه المملكة في ٢٧ من أبريل عام ١٩٦٤م / ١٣٨٤هـ من الوجود بعد أن انضمت جمهورية زنجبار إلى جمهورية تنجانيقا، لتتكون منهما جمهورية تنزانيا. وحاول الحكام الجدد أن يقضوا على الإسلام فأصبح المسلم يواري إسلامه، ويتظاهر بتغيير اسمه، وفقد العالم الإسلامي بذلك قطراً إسلاميا كان له في التاريخ مكان وسلطان.

كانت زنجبار جزيرة على الساحل الإفريقي وفدت إليها عدة هجرات عربية، من الجزيرة العربية، ومن البحرين وساحل عمان ومن شيراز ببلاد فارس. وقد أسس المهاجرون العرب المسلمون مدينة كلوة على الجزيرة، وجعلوها عاصمة لهم، وكونوا دولة الزنج وامتد نفوذها بالداخل، وعمّ في تلك الدولة الازدهار والرخاء، وازدهرت فيها تجارة العاج والذهب.

وقد زار ابن بطوطة الرحالة العربي الشهير هذه المناطق، وقال عن مدينة كلوة: «إنها مدينة عظيمة ساحلية، أكثر أهلها من الزنوج. وكلوة مدينة من أحسن المدن وأتقنها عمارة، وبيوتها من الخشب، والأمطار بها كثيرة، وأهلها أهل جهاد، والغالب عليهم الدين والصلاح، وهم شافعية المذهب.

وكان من أسباب الاضطراب في امبراطورية زنجبار أنها شريط مستطيل على البحر، وأن كل مدينة بها كانت تعد نفسها دولة قائمة بذاتها مرتبطة بالبحر وبما خلفه من عالم فسيح، وكذلك كان جُلُّ اهتمام السكان يتركز حول التجارة أكثر

منه حول السياسة وحماية الدولة، كما كان لاختلاف العناصر التي تكون منها خليط السكان في هذه المناطق أثر في النهاية المريرة التي انتهت إليها تلك الإمبراطورية.

وصل البرتغاليون إلى زنجبار في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، فاحتلوا الساحل عام ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م، وخضعت أكثر الإمارات الإسلامية لهم، واعترفت بسيادة البرتغاليين، ودفعت لهم الجزية، ثم جاء العمانيون ليخلصوا زنجبار من البرتغاليين. وحكمت زنجبار كما حكمت الساحل الشرقي لإفريقية أسر إسلامية، وبلغت زنجبار ذروة مجدها تحت حكم السلطان سعيد بن سلطان العماني ١٢٢١- ١٢٧٣هـ/ ١٨٠٦ - ١٨٥٦م، ونقل عاصمة مملكته من مسقط إلى زنجبار، ونجح في ضم جميع الموانئ المهمة والجزر الساحلية، وصارت زنجبار تحت حكمه مركزاً تجاريا بين إفريقية وشبه القارة الهندية والجزيرة العربية، وامتد نفوذ زنجبار من جنوب مقديشو شمالاً إلى سفالة وتونجي جنوباً، كما امتد نفوذها داخل القارة حتى وصل إلى حدود الكونغو وأوغندة وروديسيا.

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر تعاونت إنجلترا وبلجيكا للقضاء على نفوذ العمانيين في زنجبار، فجعلتا حقوق سلطان زنجبار قاصرة على جزيرتي زنجبار وبمبا، وعلى شريط ساحلي عرضه عشرة أمتار يمتد ما بين مقديشو شمالاً وإفريقية الشرقية البرتغالية جنوباً، وبذلك أصبح مسلمو زنجبار يمثلون أقليات في

المستعمرات التي شملتهم، ثم أرغمت بريطانيا السلطان على أن يمنحها امتيازات معينة نظير مبلغ مالي، وفرضت بريطانيا أخيراً الحماية على زنجبار عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م.

وحصلت زنجبار على استقلالها من بريطانيا في أمورها الداخلية عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ثم أعلنت انفصالها عن التبعية البريطانية في العام نفسه. وفي عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٣م أعلن انضمام جمهورية زنجبار إلى جمهورية تنجانيقا لتتكون منهما جمهورية واحدة، أصبح اسمها جمهورية تنزانيا.

وهكذا اختفت مملكة زنجبار الإسلامية من الوجود لتحل محلها دولة تنزانيا التي لا يمكن أن ندخلها في الدول الإسلامية جنوب الصحراء.

* إمارات الصومال الإسلامية القديمة، الصومال الشمالي «مملكة عَدَلْ»:

زيلع:

ميناء على خليج عدن، انتشر فيها الإسلام في وقت مبكر، ربما رجع إلى عهد الرسول ﷺ، كانت هجرات المسلمين الأولى للحبشة تتصل بها، ومن أشهر من هاجر إليها بنو عقيل.

كانت زيلع منطقة حبشية انتشر فيها الإسلام منذ مطلعه وغلب على أهلها، وتكونت بها سلطنة إسلامية سرعان ما امتد نفوذها. وفي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي تمّ للمسلمين تأليف سبع ممالك إسلامية في المنطقة المحيطة بزيلع على الساحل الإفريقي وداخل القارة، سميت (الطراز الإسلامي) وكان أعظمها مملكة أوفات المجاورة لخليج عدن، ويتبعها ميناء زيلع، وقد تحول إلى هذا الميناء كثير من النشاط التجاري الذي كان يتركز فيما قبل في مقديشو.

وقد أصبحت مملكة أوفات أقوى الممالك الإسلامية المجاورة، وكانت تمتلك ميناء زيلع.

هرر:

كانت تقع بين ممالك الطراز الإسلامي قرب الساحل الإفريقي، وكانت تابعة للحبشة وانتشر بها الإسلام، وكانت زيلع المنفذ البحري لتجارة هرر. وقد استولت زيلع على هرر فانتقل بذلك مركز القوة إلى هرر، وأطلق على الاثنين معاً مملكة عَدَل، وبذلك صارت الحبشة محصورة بين الممالك الإسلامية، فعَدَلْ تحيط بها من الجنوب والشرق، والسودان يحيط بها من الشمال والغرب، ولم يكن للحبشة موانئ على البحر الأحمر بعد استيلاء المسلمين على موانئ عَدَلْ، ومصوع، وزيلع.. وقامت الحروب بين الأمراء المسلمين والأحباش طيلة ثلاثة قرون، من السابع إلى التاسع الهجري/ الثالث عشر إلى الخامس عشر الميلادي،

ناصر فيها البرتغاليون الأحباش، وحقق المسلمون في تلك الحروب كثيراً من الانتصارات في الفترة من ٩٣٥ - ٩٥٠هـ/ ١٥٢٨ - ١٥٤٣م، وانتهز العثمانيون الفرصة إبان قوتهم للوصول إلى هذه الموانئ، وأصبح لهم السيادة على الصومال الشرقي. وكان آخر من حكم هرر من الأمراء المسلمين الأمير عبد الشكور ١٢٧٣- ١٢٩٢هـ/ ١٨٥٦ - ١٨٧٥م، وفي عهده تقلصت إمارة هرر لتتركز في مدينة هرر وحدها، أما باقي المناطق فقد استعادتها الحبشة.

وفي عهد الخديوي إسماعيل حلت مصر محل العثمانيين، واستولت على هرر دون مقاومة، ثم استولى البريطانيون على أملاك مصر بالساحل وسمحوا لفرنسا بالاستيلاء على جيبوتي، ثم استولت الحبشة على هرر.

الصومال الجنوبي «مقديشو»:

أنشئت مدينة مقديشو في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي على يد مهاجرين من العرب نزحوا من الخليج العربي واندمجوا مع السكان الأصليين، وبنى أحفادهم مدينة مقديشو ومدينة براوة. وحول مقديشو أنشئت مدن متعددة، لكن مقديشو ظلت أعظم مركز للحركات التجارية في شرق إفريقية مثل كلوة، عاصمة إمبراطورية الزنج.

وصمدت مقديشو لغارات المستعمرين البرتغاليين، معتمدة على عون دولة المماليك بمصر وعلى عون العثمانيين بعد ذلك.

وفي عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، استغاث بعض الزعماء الوطنيين في مقديشو بسلطان زنجبار لحمايتهم من غارات الفرنجة، فامتد نفوذ زنجبار إلى المناطق المجاورة لها جنوبي الصومال.

وقد امتد نفوذ مصر إلى تلك المناطق فشمل مقديشو وكيسمايو، وصارت هرر عاصمة عظيمة الشأن تتصل بالساحل اتصالاً قويا.

وعقب عزل الخديوي إسماعيل حاكم مصر وقعت مقديشو تحت حكم الطليان الذي استمر زهاء نصف قرن حتى هزمت إيطاليا في الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م، فاحتلت إنجلترا تلك المناطق، ومدت سلطانها على منطقة زيلع وبربرة وسمتها بالصومال الإنجليزي، وانتهزت فرنسا الفرصة فاحتلت منطقة أطلقت عليها (الصومال الفرنسي).

الصومال الحديثة:

تقع جمهورية الصومال شرق إفريقية، وتطل من ناحية الشمال على خليج عدن، ومن ناحية الشرق على المحيط الهندي، ويحد الصومال من الشمال جيبوتي، ومن الغرب إثيوبيا، وتحده كينيا من الجنوب والجنوب الغربي.

ويطلق على الصومال اسم القرن الأفريقي. وللصومال موقع استراتيجي مهم؛ لأنه يشرف على مدخل البحر الأحمر (بوغاز باب المندب).

وقد اختلط أهل الصومال بالعرب منذ أكثر من ألف سنة، ولا تختلف ملامح الصوماليين عن العرب اختلافاً كبيراً، وقد هاجرت إلى الصومال على مختلف

العصور قبائل عربية استوطنت الصومال، كما أن علاقاته بمختلف البلدان العربية علاقات تاريخية، ويتحدث أهل الصومال بلغة محلية متعددة اللهجات، لكن اللغة السائدة هي اللغة العربية، وهي واسعة الانتشار في المدن، ويعرضها رجال الدين بالقرى والبوادي، وهي لغة التعليم بالمرحلة الأولى.

والإسلام دين الدولة الرسمي في الصومال، وأكثر من ٩٩٪ من السكان مسلمون.

وقد أعلن استقلال الصومال عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، وتكونت من القسمين اللذين كانا يخضعان لكل من الاستعمار الإيطالي والبريطاني دولة واحدة هي جمهورية الصومال. ولدى الصومال إمكانات اقتصادية ضخمة لم تستغل، وما يزرع من المساحة القابلة للزراعة وهي ١٥ مليون فدان لا يتجاوز بضعة آلاف من الأفدنة. ويزرع القطن للتصدير، والموز والأرز للاستهلاك المحلي وللتصدير، كما يزرع السمسم والذرة والقمح وقصب السكر.

وتربية الحيوان هي المصدر الأول للثروة، ومن مصادر الثروة صيد الأسماك. وتُعد ثروة الغابات مصدر رزق لبعض المغامرين الذين يصطادون الحيوانات والزواحف، كما أن الغابات مصدر للخشب والصمغ.

وتوجد برامج لتنمية الصناعة، مثل تعليب الأسماك والفواكه واللحوم، وتوجد مصانع للسكر وللنسيج، وصناعة الصابون ودبغ الجلود. وقد اكتشف البترول في الأجزاء الشمالية من الصومال.

* انتشار الإسلام في شمال إفريقية:

يقصد بشمال إفريقية المساحة الشاسعة الممتدة من حدود مصر الغربية إلى ساحل المحيط الأطلسي، والتي تشمل دول ليبيا وتونس والجزائر والمغرب.

ولقد عرف العرب شمال إفريقية قبل الإسلام، وجاءوا إليه قبل الفتح الإسلامي بعدة قرون، فقد سلكوا طريق الساحل الغربي من الجزيرة العربية نحو الشمال لزمن يرجع إلى نحو عام ٣٥٠٠ق.م، واستقروا هناك. ومن تلك القبائل التي هاجرت إلى الشمال الإفريقي بطون من لواته - وهي في رأي علماء الأنساب من حمير - وهوارة - من كندة - وزناتة - من التتابعة أو من العمالقة - . . وغيرها.

وقد وجد العرب في شمال إفريقية صورة من الحياة التي تركوها في بلادهم مع السكان الأصليين بالتزاوج، وتبادل العادات وطول العشرة، وكانت لهم أغلبية عددية فعرَّبوا السكان الأصليين.

ثم جاءت مع الفتح الإسلامي هجرات عربية جديدة حين نجح موسى بن نصير في تثبيت أقدام المسلمين في الشمال الإفريقي كله حتى المحيط الأطلسي.

ولم يقنع الدعاة المسلمون بنشر الإسلام في الشمال الإفريقي وحده، فقد يمّم بعض هؤلاء الدعاة وجوههم شطر الجنوب، فاقتحموا الصحراء، ووصلوا بلاد السنغال، والسودان، ووصل الإسلام إلى موريتانيا وغانا وحوض النيجر وتشاد فيما وراء الصحراء الكبرى جنوباً، وانتشر الإسلام في الحبشة والصومال وأوغندة وتنزانيا، وفي الجزر المقابلة للساحل الإفريقي الشرقي على ساحل البحر الأحمر، وفي المحيط الهندي.

وإلى جانب الأثر الذي قام به التجار المسلمون في نشر الإسلام وتعاليمه بتلك المناطق كان للطرق الصوفية أثر بارز ومؤثر في كسب إقبال السكان على الإسلام واعتناقهم لمبادئه، وتجلّى هذا الأثر بشكل واضح في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي؛ فقد بذل دعاة السنوسية جهداً كبيراً أدخلوا به فريقاً كبيراً من قبيلة بيلي التي كانت لا تزال على الوثنية إلى الإسلام. ونزل دعاة السنوسية إلى بلاد بتستي جنوب واحة فزّان، ونجحوا في تعليم مبادئ الإسلام وأخلاقه، ونجحوا كذلك في نشر الإسلام في بلاد وادي والجلا وحول بحيرة تشاد وفي بلاد كانم وباجرمي ودارفور.

ودخل السنوسيون في حرب طاحنة ضد فرنسا وإيطاليا في العصر الحديث.

* المعارك التي خاضها المسلمون الأوائل لنشر الإسلام في شمال إفريقية:

برقة:

كان اسم برقة يطلق قديماً على المنطقة الممتدة إلى الغرب من الحدود المصرية، وكانت وفقاً للتقسيم الإداري البيزنطي القديم تُعدّ جزءاً من مصر. ويستخدم الآن (المنطقة الشرقية من ليبيا) بدلاً من استخدام (برقة)، كما تستخدم (المنطقة الغربية) بدلاً من (فزّان).

وكان لبرقة عبر التاريخ أثر بارز في انتشار الإسلام في الشمال الإفريقي بصفتها القاعدة التي انطلقت منها الجيوش الإسلامية غرباً وجنوباً لتوسيع الرقعة التي ترفرف عليها راية الإسلام، بل كانت برقة كذلك هي محطّ أنظار الدول الإسلامية المستقلة التي قامت في غرب إفريقية في المغرب والجزائر وتونس وغيرها بصفتها البوابة المؤدية إلى مصر وما وراءها من بلاد العالم الإسلامي شرقاً. ولا غرابة إذن في أن يسير قادة الموحدين ٥٢٤هـ - ٦٦٨هـ/ ١١٣٠ - ١٢٦٩م، بثورتهم الدينية التصحيحية إلى الشرق ومعهم أفكارهم التصحيحية ليصلوا بها إلى برقة بعد أن هزموا النورمانديين الذين كانوا يحتلون المهدية، بل لاعجب أيضاً أن يظل اسم برقة يتردد عبر التاريخ بين حكام ممالك ودول الإسلام. فبرقة تابعة للفاطميين وللأيوبيين، يحكمونها من مصر، وهي كذلك تابعة للمماليك ثم العثمانيين الذين جعلوها ولاية من ليبيا.

دخل الإسلام برقة على يد عمرو بن العاص - رضي الله عنه - الذي كان قد أتمّ فتح مصر عام ٢٢هـ/ أوائل ٦٤٣م، بعد قتال يسير مع سكانها مع اللواتيين والهواريين من البربر الزناتية. واتخذها عمرو بن العاص قاعدة انطلق منها لفتح طرابلس، ومدّ حدود الدولة الإسلامية غرباً حتى ولاية إفريقية البيزنطية عند بلدة قابس بتونس.

وعندما هُزم حسان بن النعمان الغساني ـ وكان والياً على إفريقية خلال الفترة ٧١ - ٨٥هـ/ ٦٩٠ - ٧٠٤م ـ من الكاهنة زعيمة قبيلة جراوة الصنهاجية في الغرب الأوسط تحصن حسان في برقة انتظاراً للمدد من دمشق، حتى أتاه المدد فهزم الكاهنة وقتلها في جبال الأوراس. وحرص حسان أن يضع لبرقة النظم الإدارية الكفيلة بحسن سير الأعمال فيها بصفتها جزءاً من ولاية المغرب الكبيرة.

وعندما اجتاحت إفريقية الثورة ضد المذهب الشيعي في عام ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م بدأ سكان برقة يعودون إلى المذهب المالكي، وأبطلت الخطبة بمساجدها للفاطميين عام ٤٣٣هـ/ ١٠٥١م، فما كان من الخليفة الفاطمي المستنصر باللّه إلا أن شجع القبائل العربية التي تقطن الصحراء الشرقية بصعيد مصر على الرحيل إلى برقة، مستعدياً إياهم على المعز بن باديس الصنهاجي والي إفريقية إذ ذاك، وأعطى كلا منهم بعيراً وديناراً، وقال لهم: «أعطيتكم المغرب وملك المعز بن باديس»، فطمع أفراد تلك القبائل، واجتازوا النيل إلى برقة عام ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م، ونزلوا بها واقتحموا أمصارها واستباحوها. . وأقاموا بها حكماً قبليا مستقلا ظلّ قائماً بها حتى عصر الأيوبيين ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م.

وعادت برقة إلى مصر طوال أيام حكم الأيوبيين ٥٦٤ - ٦٤٨هـ/ ١١٦٩ - ١٢٥٠م، والمماليك ٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م، وعندما تراخى حكم المماليك بسبب اضطراب الأحوال الاقتصادية إثر اكتشاف رأس الرجاء الصالح عاد إليها الحكم القبلي.

وإبان حكم العثمانيين لليبيا ٩٥٨ - ١١١٤هـ/ ١٥٥١ - ١٧١١م ظهر اتجاه لتكوين قطر واحد من المناطق الثلاث بليبيا (برقة، وطرابلس، وفزان)، وكان يطلق عليها جميعها طرابلس الغرب.

وكان لبرقة دور وطني مجيد في مقاومة الاحتلال الإيطالي؛ فقد احتلت إيطاليا بني غازي ودرنة وطبرق -من مدن برقة- في عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، إلى جانب احتلالها لطرابلس الغرب، وقامت ببرقة حركة السنوسيين لمناهضة الاستعمار الإيطالي، ووقعت معارك شهيرة ضد الإيطاليين انتصر فيها الليبيون، منها درنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، ومرسى سوس، والبورت، والزاوية البيضاء.

أما معركة القرضابية) التي وقعت في ٢٩/ ٤/ ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، فقد كانت نصراً مؤزراً للسنوسيين، وانتهت بتمزيق الإيطاليين ومحاصرتهم.

ورغم أن إيطاليا قد أعلنت طرابلس الغرب وبرقة خاضعتين خضوعاً مطلقاً للسيادة الملكية الإيطالية في ٢٥فبراير ١٩٢٢م/ ١٣٤١هـ فقد نجح الليبيون بقيادة عمر المختار -الذي كان جميع سكان برقة تحت نفوذه كقائد للثورة- في كفاحهم ضد الإيطاليين، وحصلت ليبيا على استقلالها في عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، كدولة ملكية موحدة ثم قامت الجمهورية الليبية في عام ١٩٦٩م.

وقعة تهودة: «٦٤هـ / ٦٨٣م»:

كان أبو المهاجر دينار قد حلّ مَحَلّ عقبة بن نافع في ولاية إفريقية خلال الفترة من ٥٥ - ٦٢هـ/ ٦٧٥ - ٦٨١م، وكان أبو المهاجر قد قضى على الكثير من مواقع الروم الباقية في إفريقية، ووصل بفتوحه إلى تلمسان في طرف المغرب الأوسط (الجزائر حاليا)، ونجح أبو المهاجر في إدخال كُسَيْلة قائد البربر في الإسلام، وعقد معه صلحاً.

وتَولى عقبة بن نافع ولاية إفريقية للمرة الثانية فقام بأكبر وأجرأ عمل قام به قائد عربي على المغرب فاقتحم منازل البربر في جبال الأوراس ووصل إلى طنجة، ثم اتجه إلى جبال الأطلس بالمغرب لمهاجمة قبائل مصمودة، وعبر إقليم السوس، ودخل مدينة تارودانت وبلغ شاطئ الأطلس عند مدينة أغادير.

وعاد عقبة بن نافع مخترقاً بلاد المغرب منتهجاً نهج العنف لمن يناوئه ونهج المصالحة لمن يستجيب لدعوة الإسلام، وأنشأ (رباط شاكر) على نهر تانسيفت (مدينة الرباط الآن).

لكن كسيلة وغيره من الأعداء التحموا مع عقبة في معركة حامية عند تهودة على وادي الأبيوض جنوبي بسكرة (بالجزائر حاليا)، وقتلوا عقبة مع بقية جيشه عام ٦٤هـ/ ٦٨٣م. . وبمقتل عقبة ومن معه وهزيمة جيشه عاد السلطان للروم مرّة أخرى في الساحل الإفريقي، ولكسيلة والبربر في الداخل، وانسحبت جيوش المسلمين من القيروان إلى برقة.

سبيطلة: ٢٨هـ/ ٦٤٩م، «بتونس جنوب غربي القيروان»:

تقدم عبد اللّه بن سعد بن أبي السرح بإذن من الخليفة الراشد الثالث عثمان ابن عفان ـ رضي الله عنه ـ عام ٢٨هـ/ ٦٤٩م، لفتح إفريقية التي كانت تُعدّ من أهم ولايات الدولة البيزنطية، وكانت عاصمتها الرسمية قرطاجة أو (قرطاجنّة)، وهي اليوم الجمهورية التونسية على وجه التقريب، وكانت قرطاجنة من أكبر موانئ بحر الروم في ذلك الوقت.

كان قائد الروم جُرجير قد أعلن استقلاله بولاية إفريقية عن الدولة البيزنطية، وكان دخول الجيش الإسلامي بقيادة عبد اللّه بن سعد من ناحية الشرق من قابس مفاجأة له؛ فقد كان يتوقع أن تهجم عليه أساطيل الدولة البيزنطية من الشمال من جهة البحر، ورغم أن جيش المسلمين كان قليل العدد فقد انتصر المسلمون انتصاراً حاسماً على جُرجير في موقعة سبيطلة. وانتهى بذلك السلطان الرسمي للروم في إفريقية.. وأصبحت المشكلة الجديدة التي تواجه المسلمين في الشمال الإفريقي هي مشكلة البربر.

كان يطلق على جيش المسلمين في سبيطلة جيش العبادلة؛ لأنه كان يضم سبعة من القادة يسمون عبد اللّه، منهم عبد اللّه بن الزبير، وعبد اللّه بن عمر، وعبداللّه ابن عمرو بن العاص، وعبد اللّه بن مروان بن الحكم وكان في الجيش كذلك عبدالملك بن مروان، رضي الله عنهم.

طرابلس ٢٣هـ / ٦٤٤م :

بعد أن أتم عمرو بن العاص - رضي اللّٰه عنه - فتح برقة سار على رأس حملة من الفرسان عام ٢٣هـ / ٦٤٤م، ففتح طرابلس، ودخل قاعدتها بعد قتال عنيف مع الحامية البيزنطية، ومن انضم إليها من رجال قبيلة نفوسة البربرية، وكانت هذه القبيلة أكبر قبائل البربر في إقليم طرابلس.

وبذلك امتدت حدود الدولة الإسلامية غرباً حتى حدود ولاية إفريقية البيزنطية عند بلدة قابس، وضم إقليم طرابلس إلى ولاية مصر.

وطرابلس هي عاصمة الجماهيرية العربية الليبية في الوقت الحاضر، وتطل على البحر المتوسط. أما قابس فهي في تونس (ولاية إفريقية في ذلك الوقت) إلى الغرب من طرابلس.

طنجة:

أتم موسى بن نصير - بعد أن عيّنه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في آخر أيامه والياً على شمال إفريقية - نشر سلطان المسلمين في تلك الديار فوجه جهوده إلى فتح بلاد المغرب ودواخله، وبخاصة بلاد السوس، حيث أنشأ ولاية السوس سجلماسة.

وفتح موسى بن نصير طنجة، ولم تكن فتحت من قبل، وخضعت له مدينة سبتة صلحاً، وعين عليها قائده طارق بن زياد الذي فتح الأندلس فيما بعد.

وأرسل موسى بن نصير حملات بحرية إلى صقلية وسردانية بالبحر المتوسط (بحر الروم عند ذلك).

وهكذا استقر المسلمون في تلك البقاع، وبدأوا يتطلعون إلى ما وراء المضيق.

قرطاجنة:

في عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الرابع ٦٥ - ٨٦هـ/ ٦٨٤ - ٧٠٥م قاد حسان بن النعمان الغساني جيشاً عظيماً إلى الشمال الإفريقي للقضاء على الروم وطردهم نهائيا من الشمال الإفريقي.. وقد نجح هذا الجيش في مهمته، فَخَرّب قرطاجنة عاصمة الروم، وأنشأ ميناء تونس عند حلق الوادي في عام ٨٤هـ/ ٧٠٣م، وتم طرد الروم تماماً من شمالي إفريقية، كما تم القضاء على مقاومة البربر، وعاد الشمال الإفريقي حتى المحيط الأطلسي إلى العالم الإسلامي، وأصبح شمال إفريقية ولاية تابعة للخلافة بعد أن كان تابعاً لمصر.

واستطاع حسّان أن يقضي على قوة الكاهنة زعيمة البربر وانتهى الأمر بقتلها في موضع يسمى وادي نيني، بجبال الأوراس.

وكانت ولاية المغرب الكبيرة تمتد من برقة، وتستمر حتى تصل إلى طنجة وساحل الأطلسي.

ولاية إفريقية «تونس»

كانت الفتوح الإسلامية في شمال إفريقية قد توقفت بعد موقعة سبيطلة ٢٨هـ/ ٦٤٩م بسبب الفتنة التي أعقبت مقتل الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي اللّه عنه ـ فلما خلصت الخلافة لمعاوية في عام ٤٠هـ/ ٦٦١م تولى ولاية مصر عقبة بن عامر ابن قيس الجهني عام ٤٤هـ/ ٦٦٤م.

وأرسل عقبة بن عامر والي مصر معاوية بن خديج في جيش إلى المغرب، ودخل معاوية بن خديج ولاية إفريقية (تونس)، فوجد الروم قد أرسلوا حملة استقرت فيها، لكنها غادرتها عندما جاء معاوية بن خديج. وبذلك أكدت حملة معاوية بن خديج الوجود الإسلامي في المغرب.

وفي الوقت ذاته كان عقبة بن نافع والياً على إفريقية وكان قد ثبّت الحكم الإسلامي في زويلة وزدان وفزّان وغدامس، وأخذ يستعد لبناء مدينة القيروان.

***

نماذج من القيادات الإسلامية في الشمال الإفريقي

أبو المهاجر دينار

كان عقبة بن نافع الفهري معيناً من قبل معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي في دمشق لقيادة الفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي خلال الفترة من ٥٠ - ٥٥هـ/ ٦٧٠ - ٦٧٥م، وكان أبو المهاجر دينار القائد الإسلامي يعمل تحت قيادة عقبة بن نافع خلال تلك الفترة، بل كان رفيقه ومولاه.

وقد حدث أن عزل الخليفة واليه على مصر، ابن خديج، وولّى مكانه مسلمة ابن مخلد الأنصاري، وضم له ولاية المغرب أيضاً. ورأى مسلمة عزل عقبة ابن نافع، وتولية مولاه أبي المهاجر قيادة الجيوش الإسلامية في إفريقية بدلاً منه.

وقد نجح أبو المهاجر خلال الفترة التي تولّى فيها القيادة ٥٥ - ٦٢هـ/ ٦٧٥ - ٦٨١م، في النضال الذي قام به لنشر الإسلام في الشمال الإفريقي، واستطاع أن يضم له كسيلة زعيم البربر الذي كان يقف من عقبة موقف المناوأة.

وهاجم أبو المهاجر معقل الروم في قرطاجنة بتونس، لكن الروم دافعوا عن المعقل ببسالة ردّت عنه المهاجمين، ومع ذلك فقد قضى أبو المهاجر على الكثير من مواقع الروم الباقية في إفريقية/ تونس، ووصل بفتوحه إلى تلمسان في طرف المغرب الأوسط.

وعندما عاد عقبة بن نافع إلى قيادة الجيوش الإسلامية مرّة أخرى خلال الفترة ٦٢ - ٦٤هـ/ ٦٨١ - ٦٨٣م كره البربر تلك العودة، وفاجأ كسيلةُ زعيمُ البربر عقبةَ بن نافع وأبا المهاجر عندما كانا في طريق العودة إلى بلدة تهودة فهاجمهما. وانتهت المعركة بمقتل عقبة وأبي المهاجر وأكثر أصحابهما (٣٠٠ فرد). وارتد كسيلة مرّة أخرى للروم في الساحل، ولكسيلة زعيم البربر في الداخل، وانسحبت جيوش المسلمين من القيروان إلى برقة.

إدريس بن عبد اللّه:

دولة الأدارسة بالمغرب الغربي ١٧٢ - ٣٧٥هـ/ ٧٨٨ - ٩٨٥م):

كان العلويون قد قاموا بثورة في المدينة المنورة ضد حكم العباسيين في عهد الخليفة العباسي الهادي ١٦٩ - ١٧٠هـ، وكان يقود تلك الثورة الحسين بن على ابن الحسن بن الحسن. . وأرسل الهادي جيشاً كبيراً انتصر على الثائرين في موقعة (فخ) بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وكان إدريس بن عبد اللّه من بين العلويين الذين فرّوا عقب المعركة متجهاً إلى مصر ومنها إلى المغرب الأقصى.

ونزل إدريس بالمغرب الأقصى على قبيلة أوربة في وَليلَى، واستجار بأميرها إسحق بن محمد بن عبد الحميد، فأجاره. وصار يدعو سكان الإقليم من البربر إلى دعوته، فناصره العديد من القبائل منها زواغة، ولواتة، وسراتة، وغمات، ونفرة، ومكناسة، وغمارة. . فبايعوه وتمّ له الملك والسلطان بالمغرب. وقامت باسمه دولة إسلامية، توارثها أعقابه، وكانت عاصمتها وَليلَى، ثم أصبحت العاصمة فاس بدءاً من عام ١٩٢هـ؛ وكانت تلك الدولة دولة الأدارسة بالمغرب العربي.

وهي أول دولة شيعية في التاريخ الإسلامي. ويلقب إدريس بن عبد اللّه مؤسس تلك الدولة بلقب إدريس الأول، وقد حكم تلك الدولة من عام ١٧١ حتى عام ١٧٧هـ/ ٧٨٨ - ٧٩٣م.

والأدارسة أوّلُ من نقلوا الحضارة الإسلامية إلى المغرب، وقد نشروا الإسلام وراء نهر ابن رقراق في مناطق لم تستطع الجيوش الرومانية من قبل أن تصل إليها، ودخلت تلك المناطق الإسلام.

وقد ظل الأدارسة يحكمون المغرب حتى عام ٣٧٥هـ لفترة بلغت ٢٠٣ سنة، أكثر من قرنين من الزمان، وكان انهيار تلك الدولة نتيجة لتعرضها للهجمات من العباسيين والفاطميين بتونس من ناحية، ولمناصبة الأمويين بالأندلس العداء لها من ناحية أخرى، بالإضافة إلى الخلافات التي كانت تنشأ بين أبناء السلاطين مما أدى إلى انقسام الدولة وضعفها.

بنو مرين ٥٩١ - ٩٥٧هـ / ١١٩٥ - ١٥٥٠م:

كان بنو مرين من السكان الجبليين الذين يعيشون في المنطقة الممتدة بين فجيج بالجزائر جنوب تلمسان وسجلماسة بجنوب المغرب، وكانوا قوماً أشداء يميلون لحياة الصحاري والصيد. وقد استجابوا لدعوة المرابطين للاشتراك معهم في ردِّ عدوان الفرنجة على المسلمين بالأندلس، فلبوا الدعوة، وكانت لهم مواقف مشهودة.

وكان بنو مرين يقومون بغزوات ضد الموحدين عندما بدأ الضعف يعتري كل الدولة، وقد كتب للمرينيين النصر عليهم في بعض المعارك.

وقد استطاع عبد الحق محيو مؤسس دولة المرينيين أن يجمع قلوب أتباعه حوله، واستفاد من الظروف السياسية التي أحاطت بدولة الموحدين، فقد كان بنو حفص في تونس، وبنو زيان في تلمسان، والفرنجة في الأندلس يهددون الموحدين من كل جانب.

واستطاع أبو بكر بن عبد الحق رابع حكام دولة بني مرين في المغرب أن يفتح مكناسة عام ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م، وبايعه أهل فاس التي أصبحت عاصمة الدولة الجديدة، دولة بني مرين.

وتمكن يعقوب بن عبد الحق، خامس حكام دولة بني مرين من الاستيلاء على مراكش عاصمة الموحدين عام ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م، وعلى سجلماسة عام ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م، وعلى دولة بني زيان بتلمسان. وبهذا دان المغرب لدولة بني مرين. وقد استطاع يعقوب أن يكون له أثر كبير في مناصرة مسلمي الأندلس، وكسب معارك عنيفة ضد الفرنجة. ويعد عهده أزهى عهود بني مرين.

حكمت دولة بني مرين المغرب ما يزيد على ثلاثة قرون ونصف القرن. وفي نهاية عهدهم استولى البرتغاليون على سبتة، شمالي تطوان عام ٨١٨هـ/ ١٤١٥م، وعلى طنجة عام ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م، وعلى بعض جهات السوس، ولم يبق من ثغور مراكش بين أهلها إلا القليل.

ولم تسلم دولة بني مرين من تآمر الوزراء على السلطة؛ فقد تمكن بنو وطاس من الاستبداد بالملك والسلطان في آخر أيام دولة بني مرين.

حسان بن النعمان الغساني

من أقدر فاتحي المغرب وولاته من قبل الأمويين، جعل همه القضاء على بقايا الروم في إفريقية وسواحل الغرب.

جاء تعيينه قائداً على الجيوش الإسلامية في إفريقية عندما تيقظت الخلافة الأموية على ما أصاب الشمال الإفريقي إثر خيانة كُسَيْلَة ومقتل عقبة بن نافع وأبي المهاجر دينار.

وقد استطاع بجيشه أن يقضي على الروم ويطردهم نهائيا من شمال إفريقية كما قضى نهائياً على مقاومة البربر، وعادت البلاد حتى المحيط الأطلسي جزءاً من العالم الإسلامي. وقد اضطر خلال ذلك إلى تخريب قرطاجنة التي كانت حصناً للروم، وأنشأ ميناء (تونس) عند حلق الوادي. وكان ذلك في ٨٤هـ/ ٧٠٣م.

(انظر تونس)

وتولى حسّان تنظيم الشؤون الإدارية وشؤون النقد والخراج، ولم يعد شمال إفريقية تابعاً لولاية مصر، بل أصبح ولاية خاصة يعين عليها من قبل الخليفة.

وقامت في أيام حسان بن نعمان ثورة الكاهنة زعيمة قبائل جراوة الصنهاجية في المغرب الأوسط، واستطاعت بالفعل هزيمة حسان في أول الأمر، لكنه هزم الكاهنة بعد أن وصله المدد.

ويرجع لحسان بن النعمان أيضاً الفضل في أنه وضع أسس النظام الإداري لولاية المغرب الكبيرة من برقة إلى طنجة.

عقبة بن نافع الفهري:

كان عقبة بن نافع ـ رضي الله عنه ـ قائداً في جيش عمرو بن العاص الذي فتح برقة عام ٢٢هـ/ ٦٤٣م، وأرسله عمرو بن العاص بعد فتح برقة في حملة على زويلة وودّان، وهي من بلاد برقة وطرابلس، فدخلها، ودعا للإسلام بها، وطال وجود عقبة بن نافع في تلك النواحي. وشارك أباه نافع بن عبد القيس في فتح طرابلس، وكان يتطلع إلى فتح المغرب.

كان عقبة بن نافع قائداً موهوباً ذا نزعة إسلامية بالغة العمق، وكان طول مكثه في المغرب قد جعله مغربيا عربيا.

وعينه معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ لقيادة الفتح في المغرب خلال الفترة ٥٠ - ٥٥هـ/ ٦٧٠ - ٦٧٥م، فسار إلى إفريقية (تونس)، من زويلة وودان وفزّان إلى غدامس، ودخل تونس (إفريقية) من الجنوب، وقرر أن ينشئ مصراً جديدة للمسلمين في تلك الولاية لتستقل عن ولاية مصر.

واختار عقبة الموقع الجديد وسط إفريقية (تونس) إلى شمال سبيطلة، وكانت مدينة القيروان، ومعناها المعسكر، وبنى فيها مسجداً جامعاً، واتخذ دار إمارة، وأذن للعرب باتخاذ الخطط. وبذلك أصبحت (إفريقية) مصراً إسلاميا فيه جماعة عربية بربرية إسلامية مستعربة. وأمضى عقبة خمس سنوات في بناء مدينة القيروان ومسجدها الجامع. وكان تخطيط المدينة على نمط تخطيط الأمصار الإسلامية التي سبقتها في البصرة، والكوفة، والفسطاط.

عمل عقبة على اجتذاب البربر لدخول الإسلام، وأنزل بأعدائه خسائر فادحة، وانتصر على الروم في الساحل وعلى البربر في الداخل، وخضعت لسلطانه طرابلس وفزان، وسار جنوباً حتى وصل بلاد السودان بهدف التخلص من جيوش الروم وإدخال البلاد نهائيا في الدولة الإسلامية ٥٥هـ/ ٦٧٥م.

كان معاوية بن أبي سفيان قد عزل عقبة بن نافع عقب إنجازه بناء مدينة القيروان، لكن يزيد بن معاوية في آخر أيامه أعاد عقبة إلى القيادة عام ٦٢هـ/ ٦٨١م، وظلّ أبو المهاجر دينار الذي كان قد تم تعيينه مكانه تابعاً له، واستطاع القائدان العظيمان أن يستمرا في فتوحاتهما حتى وصلا إلى المحيط الأطلسي.

ويروى أن عقبة صعد ربوة هناك وهتف قائلاً: «يا رب، لولا هذا البحر لمضيتُ مجاهداً في سبيلك، ولو كنت أعلم بعده أرضاً وناساً لخضته إليهم».

وفي فترة ولايته الثانية للمغرب ٦٢ - ٦٤هـ/ ٦٨١ - ٦٨٣م اقتحم عقبة منازل البربر في جبال الأوراس، واستولى على المراكز البربرية هناك حتى وصل طنجة، وهناك لقي بلبان حاكم الإقليم وصالحهُ. ونصحه بلبان بالاتجاه جنوباً خلال جبال الأطلس الكبرى، حيث منازل قبائل مصمودة الكبرى لتأديبها. وشقّها عقبة مع رجاله في بسالة نادرة، وعبر إقليم السوس، ودخل مدينة تارودنت، وعبر نهر السوس، وعلى مصبه مدينة أغادير، وبلغ شاطئ الأطلسي وخاض بحصانه في مياهه، حيث أشهد اللّه على أنه بلغ نهاية الغرب ولم يبق أمامه بلاد يفتحها.

كره البربر عودة عقبة بن نافع للقيادة للمرّة الثانية، فدبر كسيلة مؤامرة لاغتياله مع رفيق جهاده أبي المهاجر دينار. وفاجأ كسيلةُ عقبةَ وأبا المهاجر في طريق عودتهما إلى بلدة تهودة عام ٦٤هـ/ ٦٨٣م، فهاجمهما، وانتهت المعركة بمقتل عقبة وأبي المهاجر وأكثر أصحابهما (٣٠٠ فرد)، وارتد كسيلة عن الإسلام.

ودفن عقبة بن نافع في مكان لايزال يحمل اسمه يسمى (سيدي عقبة). وهناك مسجد باسمه يعد أقدم أثر لفن العمارة الإسلامية في إفريقية. وبمقتل عقبة وأبي المهاجر وهزيمة جيشهما عاد السلطان مرّة أخرى للروم في الساحل، ولكُسَيْلَة في الداخل، وانسحبت جيوش المسلمين من القيروان إلى برقة.

محمد بن تومرت:

هو الزعيم الأول للموحدين بالمغرب، يرجع نسبه إلى علي بن أبي طالب، وقيل إن جَدَّه وفد إلى المغرب مع إدريس الأول. وقد زار في حياته الأولى قرطبة وبغداد ودمشق والقاهرة.

ولقد حاول في مبدأ الأمر أن يقنع علي بن يوسف بن تاشفين بآرائه الفكرية، فَعَرَفَ عَليٌّ خَطَرَهُ على دولة المرابطين، وأمر بإبعاده.

وانتقل ابن تومرت إلى الصحراء، فكان له فيها مريدون كثيرون بايعوه على الطاعة، ولقبوه بالمهدي. وَقَوِيَ أمرُهُ، فلم يعد يقتصر على الدعوة إلى ضرورة العودة إلى القرآن والحديث، بل أخذ يهاجم الحكام الذين يسلبون أموال الناس بالباطل، وأعلن أن المرابطين تخلوا عن المبادئ الإسلامية، وأصبح لا مَفَرّ من المواجهة العسكرية بينه وبين المرابطين. وهُزم بن تومرت ومن معه من الموحدين أولّ الأمر، لكنه عاد إلى تحقيق بعض الانتصارات، وزحف على مراكش العاصمة، وحاصرها، وإن لم يكتب له إتمام المعركة؛ فقد وافته المنية. وخلفه عبد المؤمن بن علي الذي استطاع أن يحتل عاصمة المرابطين مراكش عام ٤٥١هـ/ ١١٤٦م، وزحف بعد ذلك على الأندلس؛ حيث ورث المرابطين في (الجزيرة الخضراء)، كما ورثهم في الشمال الإفريقي.

وكان للموحدين الفضل في تخليص الساحل الإفريقي من النورمانديين الفرنجة الذين كانوا قد احتلوا برقة. وكانت للموحدين أساطيل بحرية مرهوبة الجانب.

كان الموحدون قد لقوا هزيمة ساحقة في الأندلس في موقعة حصن العقاب، فكان ذلك إيذاناً بتفكك الدولة. وكان أيضاً لقيام دولة بني حفص في تونس ودولة بني زيان بتلمسان بالجزائر ودولة بني مرين بمراكش دور في سقوط دولة الموحدين. . وقد استولى بنو مرين بالفعل على مراكش عاصمة الموحدين عام ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م، وانتهت بذلك دولة الموحدين.

موسى بن نصير:

يُعدُّ موسى بن نصير الفاتح الحقيقي لإفريقية، وهو من أشهر ولاة الشمال الإفريقي في العهد الأموي، وقد اتخذ لنفسه لقب أمير القيروان. وقد وجّه موسى بن نصير جهوده لفتح بلاد المغرب ودواخله، وكان له شرف فتح مدينة طنجة، ولم تكن قد فتحت من قبل، وكان ذلك في عهد الخليفة الأموي عبدالملك ابن مروان.

وقد أنشأ موسى بن نصير ولاية السوس، وتسمى سجلماسة، وهي قاعدة إقليم تافللت الخصيب بالمغرب.

وموسى بن نصير هو الذي ثَبّت أقدام المسلمين في الشمال الأفريقي حتى المحيط الأطلسي، وكان من نتائج فتوحاته أن قدمت وفود كثيرة من المسلمين إلى الشمال الإفريقي وأقامت به.

وأرسل موسى بن نصير حملة بحرية إلى جزيرة صقلية وحملة أخرى إلى جزيرة سردانة ببحر الروم في ذلك الوقت (البحر المتوسط حاليا)، وهو الذي عيّنَ طارق بن زياد قائداً على حامية طنجة، ومن هناك بدأ فتح الأندلس.

وقد سار موسى بن نصير بجيش يتألف من ١٨,٠٠٠ مقاتل إلى الأندلس لمساعدة قائده طارق بن زياد في إتمام فتح شمال الأندلس ثم غربه، ودخل إشبيلية سقيل، وطليطلة توليدو.

كان موسى بن نصير يتخذ القيروان بتونس عاصمة لإمارته، ومنها كان يعين الوالي على إقليم طرابلس.

واتخذ موسى طليطلة مقرّا لأول والٍ من ولاة الأندلس، وكان يَعزم أن يشغل ذلك المنصب، لكن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك استدعاه إلى دمشق فترك ابنه عبد العزيز بن موسى بن نصير والياً على الأندلس مكانه في المحرم ٩٥هـ/ سبتمبر ٧١٣م، وكان ذلك بداية عصر الولاة بالأندلس.

(انظر انتشار الإسلام في الأندلس)

يوسف بن تاشفين: «جولة المرابطين بالمغرب ٤٤٨ - ٥٤١هـ/ ١١٤٧م»:

بعد انحلال سلطة الأدارسة أصبحت السلطة في المغرب في يد القبائل لفترة بلغت ٧٣ عاماً، كان نفوذ الفاطميين فيها قد اشتدّ في تونس، وتطلعت أنظارهم إلى المغرب العربي الكبير، فاكتمل لهم السلطان على الساحل الإفريقي، لكنهم يمموا وجوههم نحو الشرق إلى برقة ومصر، ولم يتجهوا نحو قلب القارّة.

وازدهرت الحياة القبلية داخل المغرب حتى جاء المرابطون، فأنهوا الحكم القبلي وأصبح لهم السلطان بالساحل والداخل.

كان يوسف بن تاشفين من أشهر قادة المرابطين، وقد خلف ابن عمه يحيى ابن عمر عام ٤٤٨هـ/ ١٠٦٥م، في قيادة الجيش المرابطيّ.

عمل يوسف بن تاشفين على توحيد المغرب، وعلى نشر سلطة المرابطين في ربوعه للتعريف بنهج المرابطين في إصلاح أخلاق الفرد وتعليم القرآن الكريم ونشر المذهب المالكي والتفرغ للعبادة، والتعليم وإقامة الرباطات الدينية التي تعد المسلمين للجهاد ضد الكفار. وكان يوسف بن تاشفين متديناً حازماً، له باع كبير في السياسة والحرب.

اتجه يوسف إلى وسط المغرب وشماله فاستولى على فاس عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م، وعلى طنجة عام ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م، واستمر في توسعه في شمال المغرب وجنوبه وأصبح زعيم المرابطين بلا منازع. وامتد ملك يوسف تجاه الشرق فشمل جزءاً من الجزائر، ووصلت جيوشه إلى بلاد السنغال جنوباً، وعبر مضيق جبل طارق، فضم أسبانيا إلى سلطانه.

واختط يوسف بن تاشفين مدينة مراكش عام ٤٥٤هـ/ ١٠٦١م، وأدار سورها على مسجد وعلى رقعة صغيرة لاختزان أمواله وسلاحه، وترك لابنه عليٍّ مهمة تشييد أسوار مراكش التي أصبحت عاصمة دولة المرابطين في المغرب. وكان لموقعها أهمية خاصة لدى المرابطين؛ لأنها كانت تمكنهم من مراقبة تحركات سكان الجبال الذين كانوا يتحفزون للقضاء على المرابطين.

وظلت دولة المرابطين في الحكم نحو ٩٣ عاماً، وكان من أهم أسباب سقوطها ازدياد نفوذ الموحدين من سكان الجبال المحيطة بمراكش وازدياد نفوذ نساء البلاط وتدخلهن في شؤون الحكم.

* انتشار الإسلام في مصر والنوبة

مصر والنوبة تدخل ديار الإسلام:

كانت مصر قبل الفتح الإسلامي تُعَدُّ من أملاك الدولة البيزنطية . وتتصل برا من الشرق بقارة آسيا ، ويربط البحر بينها وبين موانئ الساحل الغربي للجزيرة العربية . وتطل مصر على ساحل بحر الروم (البحر المتوسط حاليا) شمالاً ، وتتصل من الغرب برا وبحراً بأملاك الدولة الرومانية في الشمال الإفريقي .

والنيل من أهم المعالم الجغرافية بمصر ، ويُعدّ ثانيَ أطول نهر في العالم ، ويخترقها من الجنوب إلى الشمال . وتمتاز مصر بتربتها الخصبة ومناخها الدافئ شتاء ، المعتدل صيفاً . وكانت مصر المزرعة التي تغذي الدولة الرومانية بحاصلاتها من الحبوب ، حتى قيل عن مصر إنها «حقل رومة» .

وكانت مصر - في القرن الهجري الأول ، ولاتزال - بلداً يضرب تاريخه في أعماق الزمن إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام ، فمصر قام فيها النيل بدور المعلم ، فتعلّم أهلها الاستقرار والزراعة ، وعلمهم إقامة الجسور والطرق والمباني والعمران ، وأتاح لهم الوقت الذي سطروا فيه سِفْراً ضخماً من المعارف والعلوم والفنون لم يكشف عن تفاصيله الكاملة حتى وقتنا الحاضر . . ومصر التي ورد ذكرها في القرآن الكريم أربع مرات والتي وصف رسول الله ﷺ أجنادها بأنهم «خير أجناد الأرض» . . كانت تئن تحت حكم الرومان . . كان أهلها يقومون بزراعة الأرض ، ويحصدون المحصول بعد طول انتظار ، ثم يؤخذ منهم نتاجهم

دون عدل أو رحمة، بل بلغ الأمر بالرومان حدّ التدخل في التضييق على الحرية الدينية وحرية العبادة المصريين. ووصل الاضطهاد الديني درجة اضطرت أعداداً كبيرة من رجال الدين إلى الفرار بدينهم إلى أديرة الصحراء.

ولم تكن أخبار مصر بخافية على التجار العرب الذين كانوا يفدون بين الحين والحين على مصر، فكانوا ينقلون أخبارها إلى الجزيرة العربية؛ إشفاقاً على أهلها مما يلاقونه على أيدي الرومان من عنت.

وكأن الأمن الاستراتيجي للجزيرة العربية ـ مهد الإسلام ـ ولبلاد الشام التي تم تحريرها منذ عهد قريب يقتضي أن تواصل جيوش المسلمين سيرها إلى الجنوب؛ نصرة للمظلومين، وتحريراً للمغلوبين ونشراً لرسالة الإسلام.

***

سار عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ مخترقاً صحراء سيناء حتى وصل إلى العريش، فاستولى عليها دون مقاومة تذكر، ثم سار حتى وصل الفرما، وحاصرها بجيشه أكثر من شهر.

ولعب المصريون دوراً مهما في مساعدة المسلمين ضد الروم حتى فتحت الفرما على أيدي المسلمين عام ١٩هـ/ ٦٤٠م، وسقطت بلبيس بعد قتال استمر شهراً، وتقدم جيش المسلمين إلى أم دنين، وجاء المدد الإسلامي فقد بعث عمر ابن الخطاب بأربعة آلاف مقاتل فيهم الزبير بن العوام وعبادة بن الصامت والمقداد ابن الأسود رضي الله عنهم.

وهزم جيش الروم هزيمة منكرة في عين شمس. وامتد حصار حصن بابليون عام ٢٠هـ/ ٦٤٢م ستة أشهر. وتقدم المقوقس عظيم قبط مصر يعاهد عمرو ابن العاص على الصلح ودفع الجزية.

ثم كانت مسيرة المسلمين بعد ذلك إلى الإسكندرية، ونجح المسلمون في دخول المدينة، وهرب الروم إلى البحر. وتمّ توقيع الصلح النهائي بين المقوقس والمسلمين مرّة أخرى عام ٢١هـ/ ٦٤٣م، ودخلت مصر بذلك ضمن ديار الإسلام.

***

أربعة عشر قرناً مضت حتى اليوم منذ دخلت مصر ضمن ديار الإسلام، كانت فيها مصر وأهلها الحصن المنيع للأمة الإسلامية جمعاء، بل كانت القاعدة الصلبة التي خرجت منها الجيوش الإسلامية للقضاء على الصليبيين في بلاد الشام وتصفية وجودهم بالشرق العربي، وكانت أيضاً الحصن المنيع الذي خلّص العالم الإسلامي من خطر المغول المدمر. . وفوق ذلك فقد أصبحت مصر في عصور كثيرة نداً للخلافة الإسلامية في بغداد أيام الطولونيين والأيوبيين، بل وأصبحت عاصمة للخلافة الإسلامية أيام الفاطميين والمماليك.

* الإسلام في النوبة:

أرسل عمرو بن العاص عقبة بن عامر - رضي الله عنهما - إلى أرض النوبة، فقاتل أهلها دون فتح؛ لأنهم قاوموا العرب مقاومة شديدة، وكانوا مهرة في رمي النبال.

وعندما تولى أمرَ مصر عبد اللّه بن سعد بن أبي السرح على عهد عثمان ابن عفان ـ رضي الله عنه ـ قرر فتح النوبة ، فأرسل قوة يقودها عقبة بن عامر ، ففتحت أرض النوبة وتقدمت حتى بلغت دنقلة من أرض السودان ، وبعد قتال شديد انتصر العرب على أهل دنقلة وعقدوا معهم صلحاً يؤدي بمقتضاه أهلُ دنقلة الجزية ، وبنى المسلمون هناك مسجداً .

وأمر الخليفة المتوكل العباسي ٢٣٢ - ٢٤٧هـ / ٨٤٦ - ٨٦١م ، بضم أرض المعدن - وادي العلاقي - إلى ولاية مصر (بين قوص وعيذاب في أرض السودان) ، وكان سكان عيذاب من قبائل البيجا ، وتم عقد الصلح مع البجة على الهدنة .

إجلاء الروم البيزنطيين عن مصر - المعارك العسكرية

أم دنين ١٩هـ / ٦٤٠م:

كان موقعها قرب عين شمس الحالية في شمال شرقي مدينة القاهرة ، وقد وجد عمرو بن العاص بها مقاومة كبيرة ، ودار حولها قتال عنيف بين المسلمين والروم ، اضطر عمرو بن العاص أن يطلب المدد من الخليفة عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه .

وبعث عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص - رضي اللّه عنهما - بجيش يضم أربعة آلاف مقاتل، كان من بينهم الزبير بن العوام، وعبادة بن الصامت، والمقداد بن الأسود، ومسلمة بن مخلد الأنصاري.

وشدّد عمرو الحصار على الروم، وخرج الروم للقائه فانتصر المسلمون، وهزم جيش الروم هزيمة منكرة، وفرّ من فرّ منه إلى حصن بابليون.

بلبيس ١٩هـ / ٦٤٠م

بلبيس مدينة تقع حاليا بمحافظة الشرقية بجمهورية مصر العربية، وهي ذات تاريخ قديم، فقد كانت الخطّ التالي في مقاومة الروم للفتح العربي لمصر بعد سقوط الفرما.

وكان قائد المسلمين عمرو بن العاص مكلفاً بالفتح من قبل الخليفة عمر ابن الخطاب رضي اللّه عنهما. وكان ببلبيس جيش رومي كبير يقوده أريتون القائد الرومي الذي فرّ من بيت المقدس، وقد سماه العرب أرطبون.

وقد دار قتال كبير حول بلبيس، استمر شهراً، انتهى بالقضاء على قوة الروم، وتسلم المسلمون المدينة.

ويقال إن عمرو بن العاص وجد ابنة المقوقس - عظيم القبط في مصر إذ ذاك - في بلبيس، وأن عَمراً بعد سقوط المدينة أرسل ابنة المقوقس مُعزّزَةً مكرمة إلى أبيها، فكان لذلك معناه لدى قبط مصر في احترام المسلمين لذمة الأديان الأخرى.

حصن بابليون ٢٠هـ / ٦٤١:

بعد معركة أم دنين تحصن الروم بحصن بابليون، ويقع هذا الحصن شرقي النيل بجنوب القاهرة، قريباً من الكنيسة المعلقة، ولازالت آثار الحصن شاخصة للعيان حتى وقتنا الحاضر.

حاصر عمرو بن العاص الحصن حصاراً طويلاً، امتد ستة شهور، وكان المقوقس زعيم القبط المصريين قد تأكد من تفوق المسلمين وصدق إيمانهم وحسن نواياهم، فاتصل بعمرو بن العاص، وعرض عليه الدخول في عهد المسلمين باسم أهل مصر، فقبل عمرو عرض المقوقس، وكتب المقوقس إلى هرقل إمبراطور الروم يبلغه بما حدث وينصحه بالتسليم، لكن هرقل رفض ذلك.

وعقد المقوقس باسم الأقباط الصلح مع عمرو بن العاص، وتقدم الأقباط يساعدون المسلمين وأصبحوا أعواناً لهم.

وفتح حصن بابليون بأيدي المسلمين.

دنقلة والنوبة:

عندما تولى عبد اللّه بن أبي السرح ولاية مصر أيام الخليفة عثمان بن عفان غزا بلاد النوبة ٣١هـ/ ٦٥١م غزوة موفقة، قاد فيها عقبة بن عامر جيش المسلمين، ووصل فيها إلى دنقلة، ووقع مع حكام النوبة معاهدة صلح يؤدون بمقتضاها

الجزية، وتعهد أهل النوبة فيها بفتح بلادهم للمسلمين. وظلت هذه المعاهدة معمولاً بها حتى عهد المماليك بمصر.

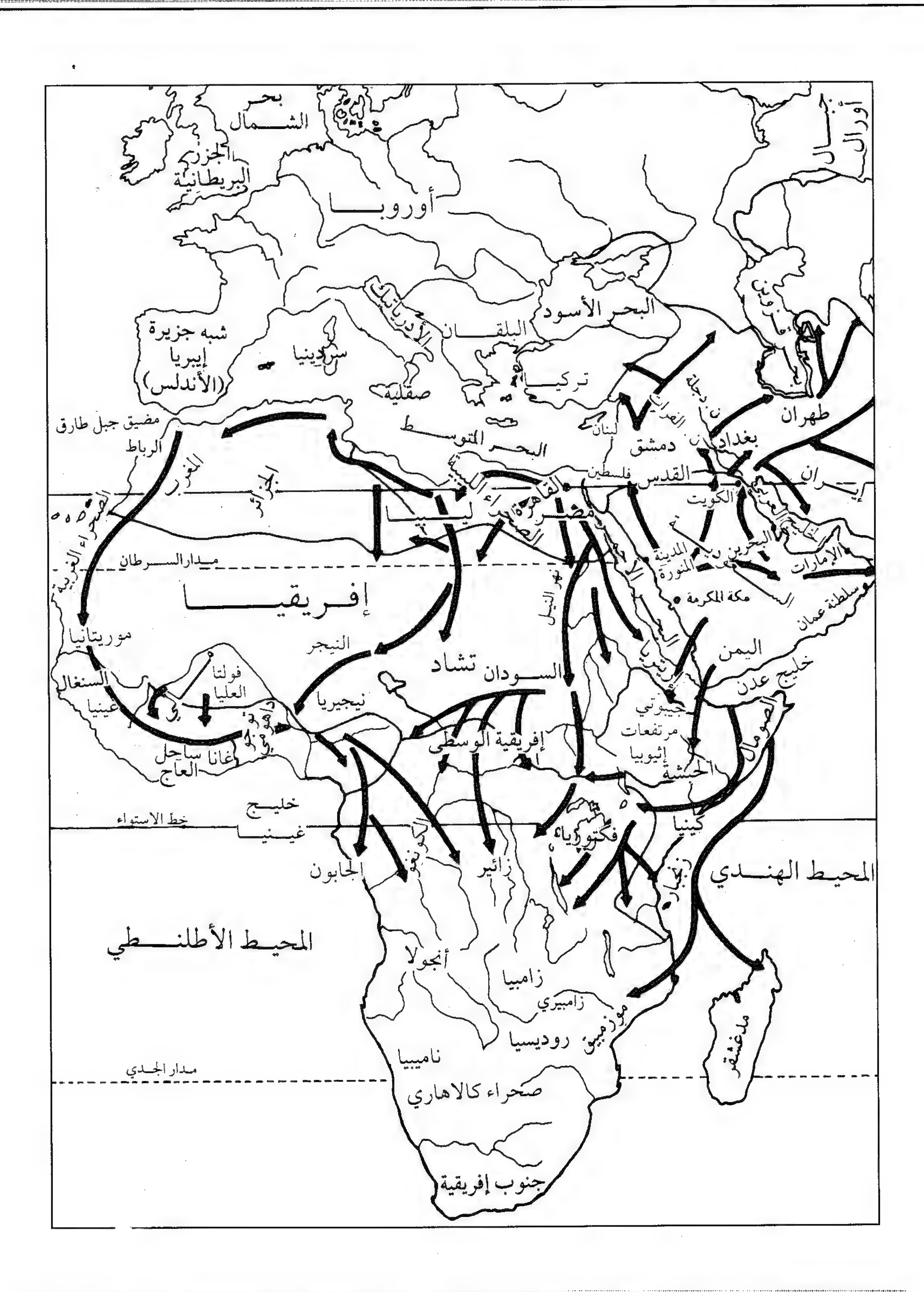
وكان عبد اللّه بن أبي السرح قد قاد جيش عمرو بن العاص من قبل عام ٢١هـ/ ٦٤٢م، إلى بلاد النوبة وحقق بعض النصر.

الفرما: ١٩هـ / ٦٤٠م:

مدينة كانت تقع على ساحل بحر الروم، شرقي بحيرة المنزلة (بحيرة تنيس) في الطريق إلى العريش.

وقد اضطر عمرو بن العاص في حملته على مصر - بعد أن استولى على العريش دون مقاومة تذكر - أن يحاصر الفرما بجيشه أكثر من شهر.

وقد لعب المصريون دوراً مهما في مساعدة المسلمين ضد الروم حتى سقطت الفرما في يد المسلمين عام ١٩هـ/ ٦٤٠م



بحر الشمال
الجزر البريطانية
أوروبا
شبه جزيرة إيبريا (الأندلس)
سردينيا
صقلية
البلقان
البحر الأسود
تركيا
البحر المتوسط
مضيق جبل طارق
الرباط
المغرب
الجزائر
ليبيا
مصر
القاهرة
لبنان
دمشق
فلسطين
القدس
بغداد
الكويت
طهران
إيران
البحرين
الإمارات
المدينة المنورة
مكة المكرمة
سلطنة عمان
اليمن
خليج عدن
مدار السرطان
إفريقيا
موريتانيا
السنغال
غينيا
فولتا العليا
النيجر
نيجيريا
تشاد
السودان
جيبوتي
مرتفعات إثيوبيا
الحبشة
الصومال
إفريقية الوسطى
غانا
ساحل العاج
خليج غينيا
خط الاستواء
كينيا
فكتوريا
الجابون
زائير
المحيط الهندي
المحيط الأطلنطي
أنجولا
زامبيا
زامبيري
موزمبيق
روديسيا
مدغشقر
ناميبيا
مدار الجدي
صحراء كالاهاري
جنوب إفريقية

* انتشار الإسلام في غرب إفريقية:

يقصد بغرب إفريقية المناطق التي تشغلها الآن بلاد موريتانيا والسنغال وغانا وغينيا ومالي، والتي تمتد شرقاً لتتصل بأراضي السودان عند النيجر وتشاد.

وقد كانت هناك صلات وثيقة بين بلاد المغرب وإفريقية الغربية، وكان المحيط الأطلسي وطرق القوافل البرية والبحرية تربط بين بلاد المغرب وغرب إفريقية برباط وثيق، فقامت علاقات برية وبحرية لم تتوقف في عصر من العصور.

وعندما انتشر الإسلام بالشمال الإفريقي، في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي اللّه عنه ـ تخطّى الإسلام الصحراء في عهد الخلفاء من بعده وزحف خلفها، وقامت بغرب إفريقية دول إسلامية كانت معاصرة لدولة الخلافة الأموية بالأندلس التي أقامها عبد الرحمن الداخل عام ١٣٨هـ/ ٧٥٥م. ولدولة الأدارسة بالمغرب (مراكش الحالية) والجزء الغربي من الجزائر فيما بين ٢٢٢ - ٣٠٦هـ/ ٨٣٦ - ٩١٨م.

وكانت الدولة الإسلامية الثالثة بغرب إفريقية معاصرة لأزهى عصور الأمويين بالأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر ٣٠٠ - ٣٦٠هـ/ ٩١٢ - ٩٧١م، ولخلافة الفاطميين بالمغرب ٢٩٧ - ٣٦٢هـ/ ٩٠٩ - ٩٧٣م، ثم كانت نهضة إسلامية أقامها ابن تيفاوت واستأنفها من بعده خليفتُه يحيى بن إبراهيم الجدالي.

وقد ساعدت الهجرات من الشمال إلى الجنوب على انتشار الإسلام بين الزنوج في تلك المناطق، ومنها شرقاً إلى السودان.

وكان لجامعات القيروان بتونس والقرويين بفاس بالمغرب، ولمعاهد تلمسان بالجزائر، وللجامع الأزهر وجامعته ـ دور كبير في نشر الإسلام بتلك المناطق عن طريق استقبال الوافدين منها، وعن طريق إرسال بعوث المعلمين والأساتذة، مما كان له أثر كبير في نشر الإسلام خلف الصحراء.

ومن العوامل التي كان لها فضل كبير في انتشار الإسلام بغرب إفريقية الطرق الصوفية، فقد دخلت الطريقة القادرية لمؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني المولود بجيلان (أذربيجان) عام ٤٧١هـ/ ١٠٧١م ـ إفريقية الغربية في القرن الخامس عشر الميلادي على يد مهاجرين كانوا يتخذون واحة توات بجنوب غربي المغرب مركزاً لهم، ثم انتقل هؤلاء إلى ولاتة بجنوب شرقي موريتانيا، فجعلوا منها أول مركز لطريقتهم، ومنها انتقلوا بعد حين إلى تمبكتو بدولة مالي حاليا.

ولم يكن تأثير الطريقة الصوفية التيجانية أقلّ شأناً من الطريقة القادرية؛ فقد كان لها أنصار عديدون في الصحراء الكبرى وغرب إفريقية ووسطها، بل ذهب قادة هذه الطريقة للوعظ في بلاد الهوسا، غربي تشاد، جنوب الصحراء الكبرى وهي نيجريا حاليا، ومنها غرباً إلى فوتاجالون.

وكان للشيخ عمر الفوتي أحد أئمة الطريقة التيجانية حملات واسعة تنشر الدعوة الإسلامية بين الوثنيين في حوض النيجر والسنغال. وكان يحكم إمبراطورية واسعة، تمتد من تمبكتو إلى المحيط الأطلسي.

وكان عمر الفوتي متمسكاً بالشرع في حربه وسلمه، عالماً عاملاً ذا بصيرة في دينه، لم يشغله الجهاد عن تدريس العلم لجيوشه، وقد قتل في إحدى غزواته عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٥م.

وهناك ثلاث ممالك إسلامية ظهرت بإفريقية، وتعد الممالك الإسلامية الأولى بغرب إفريقية، وتشمل:

- **مملكة غانا**: ويرجع تاريخها على أنها مملكة وثنية للقرن الأول الميلادي، وظلت لأكثر من عشرة قرون في حياة الوثنية، ثم دخلت في الإسلام.

- **مملكة صنغي**: ظهرت على أنها مملكة وثنية في القرن السابع الميلادي، ودخلها الإسلام في القرن الحادي عشر الميلادي.

- **مملكة مالي الإسلامية**: نشأت على أنقاض مملكة غانا في القرن الثالث عشر الميلادي.

وسوف نفرد لكل منها حديثاً خاصا في الصفحات التالية. على أنّهُ قد لا توجد أية صلة بين الوحدات السياسية القائمة الآن في غرب إفريقية وتلك الممالك الإسلامية الأولى، لا في الحدود الجغرافية ولا في السكان، فقد تعرضت تلك الممالك لغزوات استعمارية من البرتغال والأسبان والفرنسيين والإنجليز والألمان

كان من نتائجها إعادة تقسيم الحدود. وإنشاء وحدات سياسية جديدة. ومثالاً لذلك فإن غانا الحديثة لم تكن قطُّ جزءاً من غانا القديمة، بل لم تسكن قبائل السونكي)ولا الماندنجو غانا الحديثة بحال من الأحوال.

وسوف نفرد بعد ذلك بياناً بالدول الإسلامية الحالية في غرب إفريقية بتسمياتها الحديثة.

الإمبراطوريات الإسلامية القديمة في غرب إفريقية

صُنْغَي:

ظهرت دولة صنغي في القرون الميلادية الأولى، وكانت وثنية حتى عام ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م عندما اعتنق ملكها الإسلام. وعاصرت صُنْغَيْ إمبراطورية غانة وإمبراطورية مالي.

وكان سكان صنغي يعيشون على شاطئ نهر النيجر في الجزء الممتد من الانحناء إلى قرب المصب تقريباً، شمال غربي نيجيريا، وشمال داهومي(بنين حاليا). وكان قسم منهم يشتغل بصيد الأسماك وقسم آخر يشتغل بالزراعة.

وفي نحو عام ٧٠٠م وفدت إلى صنغي هجرة من قبائل البربر في الشمال استطاع قائدها أن ينشر الأمن في البلاد، ويعلن نفسه ملكاً، وكان يحمل اسم (زا) الأيمن (أي اليمنى)، واعتنق الملك الخامس عشر من سلالته واسمه (زاكوسوي) الإسلام في عام ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م. وكان ذلك قبل غزوات المرابطين لهذه

المناطق، والذين كان لهم الفضل في نشر الإسلام دون قتال بين شعب صنغي في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي.

وعندما سقطت دولة غانا وقامت على أنقاضها إمبراطورية مالي الإسلامية قامت حروب بين مالي وصنغي بهدف تكوين وحدة إسلامية، كان من نتائجها أن امتد نفوذ مالي ليشمل صنغي، لكن صنغي استطاعت أن تسترد سلطانها في عام ١٣٧٥م، وأصبح ملوكها يحملون لقب سُنِّي. وفي عهد سني علي الكبير - أحد ملوك صنغي - بدأت صنغي خطواتها نحو تكوين إمبراطورية عظيمة عام ٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م، وانتهت إمبراطورية صنغي عام ١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م، عندما قتل الإمبراطور أسكيا نوح في معارك قادها ضد مراكش.

وقد شمل سلطان دولة صنغي كل الأراضي التي تحيط بمنحنى نهر النيجر، وبسطت نفوذها في سهول غربي إفريقية، فشملها جميعاً، واستطاعت أن تخضع مدينة جني عام ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م، التي كانت قد استعصت على إمبراطورية مالي. كذلك أخضعت مملكة موشي الزنجية، والتي سبق أن استعصت على إمبراطورية مالي كذلك. وتقدمت شرقاً فهاجمت بعض إمارات الهوسا، وأخضعت كاتسينا وجور وكانوا وزنفرة وزاريا، واستولت على بلاد الماندنجو والفولاني غرباً، وبلغت مواطن الطوارق شمالاً، فلم تقنع صنغي بما كان تحت سلطان مالي، وإنما امتدت إلى أكثر منه، وخصوصا في النواحي الشرقية والجنوبية، ودخلت مناطق وسط إفريقية.

واستطاع أسكيا محمد ـ أحد أباطرة صنغي ـ أن يكسب رضا الخليفة العباسي، فجعله خليفة له في أرض صنغي.

وكانت مدينة جاو عاصمة صنغي، وكانت أيضاً تعرف باسم كوكو، وكوكيا، وكافي، وجاغ. وقد تحدث عنها الكتّاب بصفتها «أعظم ممالك السودان وأجلها قوراً، وأعظمها أمراً، وكل الممالك تعطي ملكها الطاعة ويقرون له بالرياسة».

وتقع جاو على الضفة اليسرى لنهر النيجر على بعد نحو ٤٤٠ كم من تمبكتو، وهي الآن إحدى مدن جمهورية مالي. وبلغت جاو قمة مجدها في عهد أسكيا محمد، وظلت المركز السياسي للسودان الغربي فترة طويلة، ثم تدهورت مكانتها مع تدهور سلطة صنغي بالغزو المراكشي.

وكان الصراع بين المغرب وصنغي نذير نهاية دولة صنغي، ذلك الصراع الذي كان من نتائجه أن أعلنت الأقاليم المختلفة في دولة صنغي استقلالها وخروجها عن الطاعة، فتمزقت دولة صنغي.

كانت مصادر الثروة في دولة صنغي تقوم على مناجم الذهب والملح، فضلاً عن سيطرتها على طرق التجارة الرئيسة بين الشمال والجنوب. وكانت مملكة صنغي أكبر وأعظم من مملكة مالي، وكانت تضم مناطق ذات أجواء ومحاصيل أكثر تعدداً مما كانت عليه مالي، فتدفق الثراء على حكومة صنغي وشعبها بسبب خصب التربة، وبسبب سيطرتها على طرق التجارة.

وكان جيش صنغي من أحسن الجيوش في عصره تنظيماً وتدريباً وتسليحاً، فشهد العالم الإسلامي دولة عظيمة الشأن، عالية السلطان، ومن أسف أن تأتي نهايتها على أيدي جماعات تنتمي للدين نفسه، متمثلة في الجيوش المراكشية؛ فقد أرسلت مراكش إلى صنغي - حسب الروايات التاريخية - ٢٣,٠٠٠ جندي في المدن ما بين ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م - ١٠٢٧هـ/ ١٦١٨م، ندر من عاد منهم إلى المغرب بعد ذلك، بعد أن قضي على عشرات الألوف منهم ومن رجال صنغي، فضلاً عن أنها كانت السبب في توقف النشاط التجاري وإحلال القلق محل الأمن.

وانتهت دولة صنغي على يد المغاربة، وكان ذلك في موقعة فوندلي على بعد ٥٠ كم شمال جاو في ١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م.

ولا وجود لصنغي على خريطة غرب إفريقية حاليا بعد أن وزعت أراضيها على مالي وغينيا وموريتانيا.

وفي عهد سلطنة صنغي عمرت مدينة تمبكتو وازدهرت، حتى بلغ صيتها بالغنى والأمن ووفرة الذهب بلاد أوربا، فتوافد عليها العلماء، وانتشر التعليم بين أهلها، حتى أصبحت الكتب العربية أعظم المتاجر، حتى قيل: «إن مرابح تجارة الكتب فاقت مرابح تجارة الذهب».

وكانت المصاحف والكتب الدينية والأدبية موضع فخر الناس، وكانت ثروة الرجل ومكانته تقدر بعدد الكتب في خزانته وعدد الخيل في مرابطه.

غانا القديمة:

عرفت غانا قبل الإسلام بوصفها أقدم دولة في غرب إفريقيا. وكانت تقع جنوب موريتانيا الحالية. أما عاصمتها كومبي إذ ذاك فقد كانت تقع على بعد مائتي ميل شمال باماكو عاصمة مالي الحالية. وقد تحدث عن غانا القديمة الجغرافيون والمؤرخون، فقالوا: إنها «تقع على ضفتي النيل (النيجر)، وبها سلطان بلاد غانا».

وكان سكان غانا الأقدمون من قبائل السوننكي الزنجية، وقد اجتذبت غانا جماعات من البربر القاطنين في الشمال الإفريقي للهجرة إليها والإقامة بها. وكان للتجارة دور كبير في حدوث الامتزاج بين الوافدين والسكان الأصليين. وكان التجار الوافدون يجلبون معهم الأقمشة والحلي ويعودون بالذهب والعبيد والعاج.

قوي نفوذ مملكة غانا خلال العقد الأخير من القرن العاشر الميلادي (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، فامتد نفوذها إلى الشمال، وأدخلت تحت سلطانها أودغست العاصمة الإسلامية شمالي غانا، وكان أهل أودغست ـ نجداوست بموريتانيا في الوقت الحاضر ـ مسلمين يقرأون القرآن، ويتفقهون في الدين، ولهم مساجد واسعة وامتد نفوذ غانا، فصار «تحت يد ملك غانا عدة ملوك وممالك».

وقد نجح أبو بكر بن عمر شقيق يحيى بن عمر مؤسس دولة المرابطين ٤٤٨- ٥٤١هـ/ ١٠٥٦ - ١١٤٦م، والذي قام بوضع الأساس لمدينة مراكش (٤٦١هـ/ ١٠٦٩م)، نجح عمر عام ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م، في إخضاع غانا الوثنية في الجنوب، ودمّر عاصمتها كومبي. وبذلك أصبحت غانا جزءاً من إمبراطورية المرابطين.

لكن قبائل السوننكي استعادوا استقلالهم بعد وفاة أبي بكر بن عمر ٤١٨هـ/ ١٠٨٧م، وقامت غانا جديدة، انتشر فيها الإسلام، وأصبح ملوكها مسلمين. وما لبثت غانا الجديدة أن تعرضت لغزو ملوك الصوصو الوثنيين الذين استولوا على العاصمة كومبي ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م. ولم يدم الحال طويلاً لملوك الصوصو في غانا، فقد نجحت مملكة كانجابا المسلمة في طرد ملوك الصوصو الوثنيين، وقضوا تماماً على إمبراطورية غانا، وأقاموا على أنقاضها دولة جديدة هي إمبراطورية مالي.

وينبغي أن نوضح أنه ليس هناك علاقة بين غانا القديمة وغانا الحديثة فيما يتصل بالأرض أو السكان، غير أنه من المؤكد أن بلاد السنغال التي كانت تعرف ببلاد التكرور، والتي أصبحت جزءاً من إمبراطورية مالي المسلمة خلال القرون ٥ - ٩هـ/ ١١ - ١٥م كانت بالفعل جزءاً من غانا المسلمة.

وعقب انهيار إمبراطورية مالي المسلمة قام نظام للحكم القبلي مهد الطريق للاستعمار ليدخل هذه المناطق، فجاء البرتغاليون في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ثم تأسست أول مستعمرة فرنسية عام ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٦م، ثم جاء البريطانيون عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م، ثم عادت المنطقة إلى فرنسا عام١١٩٦هـ/ ١٧٨٣م.

ورغم حنين شعوب المنطقة إلى قيام اتحاد فيدرالي بينها في العصر الحديث يجمع بين شعوب كلٍّ من السودان الغربي (مالي) والسنغال وداهومي - بنين حاليا - وفولتا خلال الخمسينات من هذا القرن تحت اسم (اتحاد مالي) ليربط بين الحاضر والماضي، وليعيد للأذهان ذكرى إمبراطورية مالي الفسيحة التي كانت تضم غانا، بما حوته تلك الإمبراطورية من أمجاد وإمبراطوريات، إلا أن الاستعمار لعب ألاعيبه للقضاء على المشروع، فاحتفظت كل دولة من هذه الدول باستقلالها.

إمبراطورية مالي القديمة ٦٣٨ - ٨٩٢هـ/ ١٢٤٠ - ١٤٨٨م:

نشأت دولة مالي الإسلامية على أنقاض غانا في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وقد قامت دولة مالي على أكتاف قبائل الماندنجو المسلمة، الذين كانوا سادة لمقاطعة كانجابا، وانتصروا في الصراع الذي دبّ بين المقاطعات التي كانت خاضعة لإمبراطورية غانا، فأقاموا على أنقاض غانا الدولة الإسلامية الجديدة التي عرفت باسم (دولة مالي) عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م، وكان ذلك بقيادة سندياتا، أول ملوك هذه الدولة.

وقد ساعدت الظروف المحيطة بقيام تلك الدولة الجديدة على ازدهارها، ومن تلك الظروف أفول دولة الموحدين، والصراع الذي دار بين الدول التي قامت على أنقاضها، مما شغل الشمال الإفريقي عن هذه الدول الجديدة. وقد شهدت دولة مالي المزيد من الانتصار والتوسع.

كان سندياتا مؤسس الدولة يقود الجيوش بنفسه في المرحلة الأولى لتكوين الإمبراطورية، حتى تمّ له الانتصار على غانا، وبنى لدولته عاصمة جديدة هي ينامي، قرب نهر النيجر، وعهد إلى قواده بمواصلة الانتصارات، فأدخلوا ضمن مملكتهم بلاد ما وراء السنغال. ووصلوا إلى نهر جامبيا، ووصلوا حتى حدود بلاد التكرور، ومارست مالي نشاطها في السودان الغربي كله، وحققّت آمالها في ميادين السياسة والاقتصاد، وامتدت الإمبراطورية من جبال الأطلس غرباً إلى بلاد الهوسا شرقاً، ومن المحيط الأطلسي جنوباً حتى الصحراء الكبرى شمالاً.

وقد امتد نفوذ مملكة مالي فاستولت على مملكة صنغي الواقعة على نهر النيجر، وضمت عاصمتها جوا ومدينة تمبكتو وبلاد التكرور، وامتدت شمالاً في قلب الصحراء، وجنوباً حتى فوتاجالون، وحدود نيجيريا الحديثة، وامتدت كذلك داخل الصحراء فاستولت على مناجم الملح في يَغَزَه، ومناجم النحاس في نكدا، ووصلت إلى المحيط الأطلسي، وانتشر الإسلام حتى عمر أكثر بلاد نيجيريا.

وتربع على عرش مالي ماري جاطة الثاني، وكان مسرفاً في خبل، متردداً في ضعف، فأتلف ملكهم، وأفسد ذخيرتهم، وتفكك جيش مالي وتمزق، وأصبح أداة سوء وخلل، وفتح الباب لاستقلال الدول والإمارات التي كانت أجزاء من الإمبراطورية، وتمزقت أوصالها، وجاءتها الضربات من كل جانب. وكانت أكبر الضربات التي وجهت لإمبراطورية مالي من صنغي التي تحررت من سلطان مالي.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي كان سلطان مالي قد آذن بالزوال، ولم يبق لحكامها إلا الإمارة الضئيلة التي نشأوا فيها (كانجابا)، وقد دهمهم الاستعمار الأوربي في تلك الإمارة الصغيرة.

* الدول الإسلامية الحديثة في غرب إفريقية

جامبيا:

كانت جامبيا طوال تاريخها جزءاً من السنغال، وكان يطلق على الكُلِّ (بلاد التكرور) التي يُعتقد أنها كانت جزءاً من إمبراطورية مالي الإسلامية. وقد انتشر الإسلام في هذه المنطقة منذ عهد المرابطين.

وجامبيا الحديثة دولة إسلامية صغيرة المساحة (١٠٠ ,٧٦ كم مربع) عاصمتها بانجول، وقد عانت خلال تاريخها الاستعمارَ البرتغاليَّ والاستعمارَ البريطانيَّ والاستعمارَ الفرنسيَّ، ونجحت بريطانيا بالفوز بها، حتى حصلت على استقلالها ١٨ فبراير ١٩٦٥م، وهي أصغر دولة مستقلة في إفريقية.

اتخذت جامبيا اسمها من نهر جامبيا. ودولة جامبيا شريط ضيق من الأرض يسير مع مجرى النهر نحو ٣٢٠كم، وتبدأ أراضي جامبيا في الانكماش في الداخل حتى تصل إلى ١٢ ميلاً/ ١٩كم، بينما يصل أقصى اتساع لأراضي جامبيا على ساحل المحيط الأطلسي (٣٠ ميلاً/ ٥٠كم.

ينبع نهر جامبيا من مرتفعات فوتاجالون، ويسير في أرض غينيا، ثم في أرض السنغال، ثم يدخل أراضي جامبيا عند بلدة كونيا، وقد بقي من طوله ٣٠٠ميل ليصل إلى المصب. والنهر صالح للملاحة، تسير فيه عابرات المحيط بغاطس يصل إلى نحو ١٩ قدماً.

وتكثر الأوبئة وتنتشر الملاريا في حوض نهر جامبيا لكثرة المستنقعات والأشجار. والجو حارٌّ للغاية، حتى أن العاصمة بانجول يطلق عليها (حفرة جهنم).

وتحيط السنغال بجامبيا من الشمال والجنوب الشرقي، وتطل جامبيا على المحيط الأطلسي من الغرب، ويصل اتساع نهر جامبيا عند المصب إلى ٦ أميال/ عشرة كيلومترات.

ويصل تعداد سكان جامبيا إلى نحو ٧٠٠,٠٠٠ نسمة، ونسبة المسلمين منهم تصل إلى نحو ٩٠٪.

وجامبيا بلاد زراعية تزرع الفول السوداني، ويرحل سكانها إلى السنغال في موسم الزراعة، ثم يعودون إليها بعد موسم الحصاد هناك، ويزرع بجامبيا أيضاً الأرز والذرة، وهما الغذاء الرئيس للسكان، كما تزرع البطاطا والكاكاو.

وشواطئ جامبيا تُعدّ مناطق جذب سياحي، وقد أنشئت بها فنادق حديثة منذ عام ١٩٦٠م، وهناك مطار بوندوم، بالقرب من العاصمة بانجول.

واللغة الرسمية لجامبيا هي اللغة الإنجليزية، ويتحدث السكان المحليون بلغاتهم المحلية، ويعرف المثقفون منهم اللغة العربية، ويتعلم بعض أبناء القبائل الإسلامية في الكتاتيب والمعاهد الدينية.

السنغال «بلاد التكرور سابقاً»:

تقع السنغال بين جمهورية مالي شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً، وبين جمهورية موريتانيا في الشمال وغينيا البرتغالية في الجنوب.

وكانت بلاد السنغال (التكرور) إقليماً مهما في مملكة غانا القديمة، ثم دخلها الإسلام من الشمال وافداً مع التجار والدعاة من بلاد المغرب، ومن الشرق وافداً من مصر وسودان وادي النيل، ومن ليبيا عبر نهر النيجر.

وهناك رأي بأن عدداً وفيراً من المسلمين رحلوا من مصر العليا عقب الفتح العربي واتخذوا وجهتهم إلى الغرب، حتى استقرّ بهم المقام في السنغال.

وقد اعتنق ملك التكرور وأعيان دولته الإسلام في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ومن هذه المناطق هبّ المرابطون، ونشروا الإسلام في ربوعها نشراً واسعاً.

ولما قامت إمبراطورية مالي (القرن ٥ - ٩هـ/ ١١- ١٥م) أصبحت بلاد السنغال جزءاً من تلك الإمبراطورية، ولعبت دوراً مهما في نشاطها خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.

وقد قامت في حوض السنغال دولة إسلامية قوية عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٦م، تضم الفولانيين، وكانوا شعباً من الرعاة موطنه الأصلي حوض السنغال. وتضم كذلك شعب التكرور. واستمرت تلك الدولة قائمة على نشر الإسلام فيما حولها حتى قضى عليها المستعمرون الفرنسيون.

يتألف السواد الأعظم من سكان السنغال (٦,٥٤٠,٠٠٠ نسمة - إحصاء ١٩٨٧م) من قبائل الولوف وتوكلور والفولاني وماندنجو) والبربر. و٩٠٪ من السكان مسلمون. وتنتشر اللغة العربية بين السنغاليين المثقفين، لكن اللغة الرسمية هي اللغة الفرنسية.

والسنغال بلد زراعي من الدرجة الأولى، ويعد الفول السوداني أشهر المحاصيل الزراعية، وتصديره يُدرُّ ربحاً وفيراً على البلاد، ويزرع كذلك الأرز، والذرة، والبطاطا والقطن. وفي البادية تكثر المراعي، وتربى الأبقار والأغنام والجمال والخيول.

وبالسنغال غابات فسيحة يقع معظمها في القسم الجنوبي، ويُعدّ الفحم الحجري من أهم منتجات تلك الغابات، كما أنها تنتج الخيزران وأشجار جوز الهند.

وتوجد بالسنغال بعض المعادن، مثل فوسفات الكالسيوم وفوسفات الألومنيوم، كما يوجد الحجر الجيري لإنتاج الإسمنت. وقد بدأ إنتاج البترول، وهو في تزايد مستمر.

وداكار العاصمة، مدينة صناعية كبيرة، بها مصانع للسكر والنسيج والصناعات الكيماوية والحبال.

وللسنغال أهمية كبيرة في طرق التجارة العالمية.

غينيا:

تقع غينيا في الانحناء الجنوبي الغربي لمنطقة إفريقية الغربية، وتُعدُّ محطة مهمة بين جنوبي إفريقية وإفريقية الغربية. وتطل غينيا على المحيط من الغرب والجنوب، ويحدها شرقاً ساحل العاج وجزء من جمهورية مالي، كما يحدُّها شمالاً جمهورية مالي والسنغال وغينيا البرتغالية، وجنوباً ليبيريا وسيراليون.

وفي قلب جمهورية غينيا توجد مرتفعات فوتاجالون التي يصل ارتفاعها إلى ستة آلاف قدم. وتسقط عليها أمطار غزيرة يصل معدلها إلى ٨٠ بوصة في السنة، ولذلك سميت (القلعة المائية) لإفريقية الغربية. ومنها تنبع الأنهار العظيمة لهذه المنطقة، وهي النيجر والسنغال وجامبيا.

ينتسب أغلب شعب غينيا (٦ ملايين نسمة - إحصاء ١٩٨٦م) إلى أصلين كبيرين، هما الفولاني والمالينيك. ويعيش الفولاني في هضبة فوتاجالون، وفي السهول التي تقع إلى الشمال الشرقي منها. ويعيش المالينيك في شمال غينيا حول نهر النيجر وفروعه.

وبجوار هاتين المجموعتين الكبيرتين هناك قبائل الماندي التي تعيش في منحدرات فوتاجالون من ناحية الجنوب.

وقد دخل منطقةَ الفوتاجالون في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي - جماعاتٌ من الفولا السنغاليين نشروا الإسلام بين أهلها. وفي عام

١١٤٤هـ/ ١٧٣٠م قام رجل مسلم تقيٌّ يدعى كارموكوا، واستولى على الحكم في منطقة فوتاجالون، وتمكن بقوة شكيمته أن يبعث نهضة إسلامية عظيمة، انتشرت طولاً وعرضاً بين شعبه الفولاني وبين الشعوب المجاورة حتى شملت تلك النهضة منطقة النيجر العليا والوسطى وأبعد منها.

وقد تمكن الفرنسيون في منتصف القرن التاسع عشر من إنشاء مستعمرة على ساحل غينيا، وُوجهت هذه الحملة بمقاومة عنيفة، وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر تطلعت فرنسا إلى احتلال البلاد بأسرها، ودارت معارك عنيفة بين قوات العدو والمواطنين، انتهت بتوقيع معاهدة عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م.

وفي عام ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م تم تنظيم حلف دفاعي ضد الفرنسيين لطردهم من البلاد، لكن الأمر استقر بسيطرة الفرنسيين على غينيا وساحل العاج في عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٨م، وأعلن استقلال غينيا بقيادة المناضل أحمد سيكوتوري عام ١٣٨٠هـ/ ٢ أكتوبر ١٩٥٨م.

يمثل المسلمون ٩٥٪ من سكان غينيا، أما الباقون فَقِلَّةٌ وثنية أو نصرانية. ويعمل نحو ٨٠٪ من السكان بالزراعة التي توفر الاكتفاء الذاتي للسكان. وأهم الحاصلات الزراعية الذرة والفول السوداني والقمح والبطاطا. وهناك التمور والموز والموالح والأناناس. وتكثر في غينيا حقول البن والسمسم، ويزرع الأرز.

وتعد المراعي مصدراً مهماً للثروة، إذ يوجد أكثر من مليوني رأس من الماشية. وتمنع غينيا تربية الخنازير.

وللثروة السمكية أهمية خاصة. وتُعدّ الغابات مصدراً للأخشاب والخيزران وجلود الحيوان.

والثروة المعدنية من الحديد والبوكسيت والذهب والرصاص والماس وفيرة.

وعاصمة غينيا هي مدينة كوناكري، وقد لعبت هذه المدينة دوراً بارزاً في التحرر الوطني لإفريقية الغربية؛ فقد اجتذبت كل الزعماء الذين تصدوا للاستعمار، وكانت مركز إشعاع تحرري في المنطقة كلها.

مالي:

أخذت دولة مالي الحديثة اسم مملكة مالي القديمة، إلا أن مالي الحديثة تختلف تماماً عن مالي القديمة من ناحية الأرض والمساحة والحدود. كانت مالي القديمة إمبراطورية مترامية الأطراف، أما مالي الحديثة فهي دولة حبيسة، ليس لها مرفأ على المحيط، ولا مخرج إلى العالم إلا عَبْرَ أقطار أخرى، ومساحتها ١,٢٤٠,٠٠٠ كم^{٢}.

يَحُدُّ مالي الحديثة من الشرق النيجرُ، ومن الغرب السنغال، ومن الشمال الجزائر وموريتانيا، ومن الجنوب الغربي غينيا، ومن الجنوب الشرقي فولتا العليا (بوركينا فاسو حاليا)، ومن الجنوب ساحل العاج (كوت ديڤوار).

يبلغ تعداد سكان مالي الحالية نحو ٨,٢٠٦,٠٠٠ نسمة (إحصاء ١٩٨٥م) أكثر، هم من قبائل الماندنجو والطوارق. واللغة الرسمية بالبلاد هي اللغة الفرنسية، إلى جانب اللغات المحلية، والمسلمون المثقفون يعرفون اللغة العربية معرفة جيدة. والإسلام دين الغالبية من السكان (٩٠٪).

يرتبط تاريخ مالي بتاريخ الشمال الإفريقي؛ إذ تربطه صحراء مالي الشمالية بالجزائر وبلاد المغرب، وصحراء مالي الشمالية جزء مهم من الصحراء الكبرى الإفريقية. وكانت معظم أراضي مالي تابعة لإمبراطورية غانا الإسلامية الأولى. . وفي هذه المنطقة كذلك قامت إمبراطورية صنغي الإسلامية القديمة. وارتبط تاريخ جمهورية مالي بتاريخ النيجر وتشاد، وإفريقية الغربية عامة.

كان قدوم الاستعمار إلى منطقة مالي الحالية عن طريق نهر السنغال. ونزل المستعمرون بمدينة كابس في غرب مالي عام ١٨٨٠م، وأنشأوا خطا حديديا يمتد من ساحل السنغال مارّا بكابس، وممتداً إلى باماكو العاصمة الحالية. ولم يستقر الاستعمار الفرنسي بمالي نتيجة للمقاومة الوطنية التي وجدها إلا في وقت متأخر بدأ في القرن العشرين. وقد حصلت مالي على استقلالها عام ١٩٦١م.

تنمو في المناطق الزراعية بمالي حاصلات وفيرة أهمها الأرز، كما ينمو الفول السوداني والقطن والذرة والسمسم والفاكهة والحنّاء، والزراعة هي المصدر الرئيس لاقتصاد مالي، ويعمل بها ٦٠٪ من السكان، وتخرج صادرات مالي إلى العالم عن طريق موانئ غينيا (كوناكري)، أو عن طريق موانئ ساحل العاج (أبيدجان). وهي تستفيد من وحدة الدين والتاريخ والثقافة مع غينيا.

وفي المناطق الصحراوية تربى الماشية على نطاق واسع (٧ ملايين رأس من الغنم والماعز، و٤ ملايين من البقر)، بالإضافة إلى الخيول والحمير. وتصدر معلبات اللحوم وجلود التماسيح والأفاعي والفهود، هذا بالإضافة إلى الثروة الغابية من الأخشاب والصموغ وصيد الأسماك، وهناك أيضاً الثروة المعدنية من الذهب والملح، كما يوجد الحديد الخام والمنجنيز والبترول.

موريتانيا «شنقيط سابقاً»

يحد موريتانيا من الشمال الغربي الصحراء الأسبانية، ومن الجنوب نهر السنغال وجمهورية مالي، ومن الشرق جمهورية مالي، ومن الغرب المحيط الأطلسي. وتبلغ مساحة موريتانيا ٤١٩,٠٠٠ ميل مربع.

وتقع موريتانيا في طريق الخط التجاري بين منحنى النيجر وبلاد المغرب الأقصى. وقد أكسبها هذا الموقع ألواناً من الحضارة والغنى، وجعلها على صلة بالمدنية العالمية.

ويرجع انتشار الإسلام بموريتانيا إلى دولة الأدارسة التي قامت بالمغرب الأقصى ١٧٢ - ٣٧٥هـ/ ٧٨٨ - ٩٨٥م، ثم اندفعت تنشر الإسلام نحو الجنوب، واستطاعت بالحرب تارة وبالفكر تارة أخرى أن تنشر الإسلام بين سكان موريتانيا، وكانوا إذ ذاك من المسلمين الذين يُعتقد أن أصولهم ترجع إلى صنهاجة، وقد تمّ ذلك في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

وقد بدأت القوة الإسلامية الجديدة في موريتانيا تُكونُ لها كياناً خاصّاً، فاتجهت نحو الجنوب لتنشر الإسلام، فهاجمت مملكة غانا، ووجهت لها أعنف الضربات، وأتيح لها النصر، فتوغلت في مملكة غانا، ونشرت الإسلام هناك.

وقد حمت موريتانيا الإسلام فترة طويلة عندما تعرض لضغط الفرنجة في إسبانيا، فنشأ بها المرابطون والموحدون وبنو مرين. وكانت الصلة وثيقة بين موريتانيا والمغرب؛ فقد كانتا تكونان دولة واحدة.

تعرضت موريتانيا للغزو الإسباني، وتعرضت كذلك للغزو الهولندي والغزو الفرنسي، ومع بداية القرن العشرين كانت موريتانيا قد صارت إقليماً من أقاليم إفريقية الغربية الفرنسية. وقد أعلن استقلال موريتانيا في عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٠م، وانضمت إلى الأمم المتحدة في عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦١م.

يقدر عدد سكان موريتانيا بأكثر من مليوني نسمة (إحصاء ١٩٨٠م)، يتحدث أغلبهم باللغة العربية، وتوجد معها البربرية في بعض المناطق، ولهجات الزنوج في الجنوب. وأغلب السكان شعب أبيض ينحدر من أصل بربري عربي، وهناك قلة في الجنوب فيهم زنجية، وهؤلاء يعملون بالزراعة في حوض السنغال، وأغلب سكان الشمال يعيشون حياة الرعي والتنقل. وتحاول حكومة موريتانيا توطينهم بالزراعة أو الصناعة.

وفي حوض السنغال يزرع الفاصوليا والبطاطس وتكثر التمور، وبين أشجار النخيل يزرع الشعير والقمح والتبغ والحناء وأشجار الفاكهة.

وتمثل تربية الحيوان مصدراً مهما من مصادر الثروة، كما يُعدّ صيد الأسماك وتجفيفها مورداً آخر من الموارد الاقتصادية للبلاد.

ومناجم موريتانيا غنية بالحديد والنحاس، ويتوقع العثور على مخزون من البترول.

أما عاصمة موريتانيا فهي نواكشوط.

نيجيريا:

نيجيريا أو ما حول النيجر كانت فيما مضى تشمل ولايات الهوسا ودولة اليوروبا ودولة برنو ومناطق الإيبو. وكان العرب يطلقون على سائر المنطقة بما فيها نيجيريا والنيجر بلاد السودان الغربي أو بلاد التكرور.

تحد نيجيريا الكاميرون من الشرق، وبحيرة تشاد في الشمال الشرقي وتشاد والنيجر في الشمال وداهومي (بنين حاليا) غرباً، ويقع المحيط إلى الجنوب من نيجيريا.

ونيجيريا من أكبر دول إفريقية مساحة (أربعة أضعاف مساحة بريطانيا)، ويخترق نهر النيجر ويلتقيه رافده (نهر بينو من أهم روافد نهر النيجر)، ويصب النهران في خليج غينيا.

وتضم نيجريا أربعة أقاليم، فالأرض التي إلى الشرق من نهر النيجر بعد التقاء رافده (بينو) به هي الإقليم الشرقي، والأرض الواقعة إلى الغرب من نهر النيجر هي الإقليم الغربي، أما الإقليم الشمالي فيتكون من الأرض التي تقع إلى شمال النهرين، وهو إقليم فسيح كثير السكان. وهناك إقليم رابع هو الإقليم الغربي الأوسط.

وتعداد سكان نيجريا نحو ٩٥,٠٠٠,٠٠٠ نسمة (إحصاء ١٩٨٦م) يتوزعون على الأقاليم الأربعة كالتالي:

* الإقليم الشمالي (٦٠ مليون نسمة)، وهم من الهوسا والفولاني وقبائل الكانوري.

* الإقليم الشرقي (١٥ مليون نسمة)، أكثرهم من الإيبو.

* الإقليم الغربي (١٣ مليون)، أكثرهم من قبائل اليوربا والإيبو.

* الإقليم الغربي الأوسط (٧ مليون) من اليوروبا والإيبو.

ولاجوس هي العاصمة الاتحادية، أما الإقليم الشمالي فعاصمته كادونا، والإقليم الشرقي عاصمته ارينوجو، والغربي عاصمته إبادان، والإقليم الغربي الأوسط عاصمته بنين.

وهناك نحو ٥٠ مليون مسلم من جملة السكان (٩٥ مليون تقريباً)، و٢٠ مليون من النصارى، والباقون من الوثنيين واللادينيين.

ويتحدث سكان نيجيريا بأكثر من ٢٥٠ لغة، وكانت اللغة العربية قد انتشرت انتشاراً واسعاً مع الدين الإسلامي، وحملها الطوارق إلى أرض الهوسا فكانت لغة الثقافة والعلم، وعني بها عدد وفير من أهالي نيجيريا. وقد لعبت اللغة العربية في نيجيريا دور الوسيط اللغوي لفترة طويلة حتى جاء الاستعمار فحاربها، ومع ذلك بقيت لها آثار لا تمحى تظهر في لغة الهوسا ولغة اليوروبا.

ويرجع بعض المؤرخين بتاريخ دخول الإسلام إلى نيجيريا إلى القرن الأول الهجري الذي فتح المسلمون فيه شمال إفريقية وجزءاً من غربها.

كان البرتغاليون أول من وصلت سفنهم إلى نيجيريا عام ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م، ودخلوا مدينة بنين، وعقدوا مع ملكها معاهدة ودية، ووصلت أول حملة إنجليزية إلى هذه الشواطئ عام ٩٦٦هـ/ ١٥٨٨م، وأصبحت لاجوس أول مستعمرة بريطانية عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م.

وفي عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م أطلقت على المنطقة (محمية نيجيريا الجنوبية)، ثم أنشئت محمية نيجيريا الشمالية.

وصادف الإنجليز مقاومة وطنية عنيفة، فعمدوا إلى تقسيم نيجريا؛ إضعافاً للمقاومة الوطنية. وفي عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، أدمجت محمية لاجوس ومستعمرتا نيجيريا الشمالية والجنوبية في وحدة سياسية واحدة سميت (مستعمرة ومحمية نيجيريا).

وبعد الحرب العالمية الأولى خطت نيجيريا أولى خطواتها نحو الاستقلال بصدور دستور ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، ثم نجح النيجيريون في الحصول على الحكم الذاتي عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٦٤م، وأعلن استقلال نيجيريا عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

يسهم الاقتصاد الزراعي في نيجيريا بأكبر نصيب في اقتصاد الدولة (٥٠٪ من الدخل القومي)، وأشهر الحاصلات البطاطا والموز والحبوب والبقول والفاكهة والخضراوات والقطن والكاكاو والمحاصيل الزيتية كالفول السوداني والسمسم والكولا.

وفي نيجيريا ثروة حيوانية واسعة من البقر والجاموس والأغنام والماعز.

وتغطي الغابات ثلث مساحة نيجيريا، وتُعدّ الأخشاب من الثروات المهمة.

ونيجيريا البلد الوحيد في غرب إفريقية الذي ينتج الفحم، وهي من أهم البلاد المنتجة للقصدير، وتنتج الإنتاج العالمي من الكولوميت، وهي رابع بلد إفريقي ينتج البترول. وتوجد بها معادن أخرى كالذهب والحديد والرصاص، وبها اليورانيوم والنيوبيوم والملح والحجر الجيري والكاولين.

* انتشار الإسلام في السودان الأوسط:

يقصد بالسودان الأوسط النواحي المدارية الشاسعة الممتدة من الضفاف الشرقية من النيجر الأوسط حتى منطقة بحيرة تشاد، ثم المناطق التي تلي ذلك شرقاً حتى دارفور ووادي.

والسودان الأوسط هو الجزء الغربي من السودان النيلي، وكانت تلك المناطق تشمل قديماً بلاد الهوسا وبلاد الكانم والبرنو وإقليم وادي ودارفور بغرب السودان النيلي.

بلاد الهوسا:

الهوسا اسم كان يطلق على المناطق الواقعة بين جبال العامر التي تقع غرب إقليم تشاد (كوار)، وتمتد حتى الضفة الشرقية لنهر النيجر. واسم الهوسا كان يطلق كذلك على المناطق الواقعة شرقي نهر النيجر.

والهوسا اسم لغة يشترك فيها عدد من القبائل في المناطق شرقي نهر النيجر حتى تشاد، ومعظم أراضي الهوسا تقع اليوم في جمهورية النيجر التي تحدثنا عنها ضمن بلاد غرب إفريقية.

ودخل الإسلام بلاد الهوسا في القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري أثناء حكم الملك باجي ٧٢٤ - ٧٨٨هـ/ ١٣٤٩ - ١٣٨٥م. وقد أدخل الإسلام إليهم علماء ودعاة قدموا من بلاد مالي والبرنو والسودان النيلي.

ولا وجود الآن لبلاد الهوسا كوحدة سياسية؛ لأن أراضيها موزعة بين دول السودان الأوسط ونيجيريا.

تشاد:

تقع جمهورية تشاد في وسط إفريقية، ويحدها شمالاً ليبيا، وجنوباً جمهورية إفريقية الوسطى، وشرقاً سودان وادي النيل، وغرباً النيجر وبحيرة تشاد والكاميرون. وبهذا فإن أراضي تشاد لا ساحل لها؛ فهي أراضٍ مغلقة ولا بد لها من أن تخترق أراضي جيرانها للوصول إلى البحر. وأقرب الطرق إليها لتحقيق هذا الهدف يمكن أن يكون عن طريق الجماهيرية الليبية للوصول إلى البحر المتوسط أو عن طريق السودان للوصول إلى البحر الأحمر أو الخروج إلى المحيط الأطلسي من طريق نيجريا أو الكاميرون - إلا أن المنفذ إلى البحر المتوسط عن طريق ليبيا هو أقصر الطرق.

والموقع الذي تشغله جمهورية تشاد حاليا قامت به قبل ذلك ممالك كانم وباجرمي ووادي - وقد وصل الإسلام إلى تلك المناطق في زمن مبكر عن طريق إقليم فزان بليبيا الذي فتحه المسلمون أيام الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان - رضي اللّه عنه - على يد نافع بن عبد القيس الفهري (والد عقبة بن نافع). وكانت تشاد تعرف إذ ذاك بإقليم (كوار). وثمة طريق آخر سلكه الإسلام في الوصول إلى تلك المناطق هو الطريق من وادي النيل إلى دارفور ووادي فتشاد. أما الطريق الثالث فيسير بحذاء المحيط الأطلسي حتى يدخل إفريقية المدارية، وهو الطريق الذي سلكه المرابطون.

يبلغ عدد سكان جمهورية تشاد نحو ٥ ملايين نسمة (إحصاء ١٩٨٥م) وتصل نسبة المسلمين منهم إلى نحو ٨٥٪، وباقي السكان وثنيون، ومنهم نسبة ضئيلة تدين بالنصرانية.

ويشتغل معظم السكان بالرعي والتجارة والزراعة والأعمال اليدوية البسيطة، وتسود اللغة العربية في المناطق الشمالية من تشاد، كما توجد لغة قبائل البانتو الإفريقية. واللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية في المكاتبات الحكومية.

حرصت فرنسا على أن يكون لها في تشاد وجود ييسر لها أن تقيم حزاماً يصل بين شرقي إفريقية وغربيّها. وفي تشاد تجمعت الجيوش الفرنسية التي خرجت لقتال الألمان في الحرب العالمية الثانية في الشمال الإفريقي عام ١٣٦٠- ١٣٦١هـ/ ١٩٤١- ١٩٤٢م، لكن تشاد أصبحت جمهورية مستقلة عام ١٩٦٠م، وأصبحت عضواً في الأمم المتحدة. وتشاد بلد محدود الدخل اقتصاديا. ويعد من بلاد إفريقية الفقيرة بسبب ارتفاع أسعار السلع المستوردة. ويعتمد التشاديون على زراعة القطن والفول السوداني والذرة والأرز وتربية الثروة الحيوانية. وبحيرة تشاد مصدر مهم للثروة السمكية.

أما عاصمة تشاد هي أنجامينا.

بلاد الكانم، وألبرنو، ووادي، ودارفور:

الكانم منطقة كانت تقع شمالي بحيرة تشاد، وألبرنو كانت تقع إلى جنوب البحيرة. وقد وصل الإسلام إلى هذه المناطق في زمن مبكر عن طريق إقليم فزّان بليبيا الذي فتحه المسلمون أيام عثمان بن عفان ـ رضي اللّه عنه ـ على يد نافع ابن عبد القيس الفهري.

وقد قامت قبيلة بربرية تسمى (زواوة) هاجرت من موطنها الأصلي بمنطقة القبائل شرقي مدينة الجزائر الحالية بدور كبير في نشر الإسلام في هذه البلاد، وقد انتقلت تلك القبيلة إلى إقليم فزّان، واستقرت هناك.

وحدثت هجرات من فزّان إلى إقليم دارفور بغرب السودان ووادي عندما استولى العثمانيون على فزان فيما بين ٤٧٨ - ٤٩٠هـ/ ١٠٨٥ - ١٠٩٧م.

وقد اتسعت دولة الكانم ووادي وجزء من دارفور حتى وصلت إلى حدود فزان شمالاً، ومن وادي شرقاً إلى حوض النيجر غرباً، واتخذ سلطان الكانم وكيلاً مقيماً له في القاهرة.

ولا توجد بلاد الكانم وألبرنو ووادي الآن كوحدات سياسية مستقلة؛ لأنها أصبحت أجزاء من الدول الحديثة في وسط إفريقية.

النيجر:

كانت النيجر جزءاً من منطقة كبرى تشمل النيجر والسنغال. ويحد النيجر جمهورية تشاد شرقاً، ومالي وفولتا العليا غربا، وليبيا وصحراء الجزائر شمالاً، واتحاد نيجريا وجمهورية داهومي (بنين حاليا) جنوباً. وتقع بحيرة تشاد في الزاوية الشرقية الجنوبية للنيجر.

وقد أخذت جمهورية النيجر اسمها من نهر النيجر الذي يمس جانباً صغيراً من الجنوب الغربي للجمهورية.

يسكن النيجر نحو ٦,٤٧٥,٠٠٠ نسمة (إحصاء ١٩٨٦م)، تصل نسبة المسلمين منهم إلى ٩٥٪، والباقون نصارى أو وثنيون.

ولنهر النيجر أهمية خاصة رغم أنه لايمسُّ إلا جانباً صغيراً من الجنوب الغربي من الجمهورية؛ لأنه النهر الوحيد في البلاد وعصب الحياة فيها. أما شمال البلاد فصحراء فسيحة تغطي ثلثي مساحة البلاد تقريباً. والحياة فيه صعبة ويندر به السكان.

وقد ارتبطت بلاد النيجر بالإسلام الوافد إليها من الغرب ومن الشمال ومن الشرق حيث التقى النشاط الإسلامي الوافد من هذه الجهات عند بحيرة تشاد.

وكانت النيجر جزءاً من إمبراطورية مالي الإسلامية القديمة. وفي مطلع القرن السادس عشر الميلادي صارت جزءاً من إمبراطورية صُنْغي.

وتحتل النيجر موقعاً استراتيجيا مهما بالنسبة لدول غرب إفريقية وشرقيها وشماليها، ولذلك حرصت فرنسا على ضمها إلى سلطانها. وقد دخل السكان في صراع مرير طويل ضد الجيوش الإنجليزية في الشرق والتي كانت تعمل على استعادة السودان، وضد الفرنسيين في الغرب الذين كانوا يتطلعون إلى منطقة النيجر وتشاد. وقد تمكن الفرنسيون من إعلان النيجر مستعمرة لهم في عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، واستطاعت النيجر بعد كفاح طويل أن تحصل على استقلالها عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، وأصبحت عضواً في الأمم المتحدة.

توجد الزراعة حول نهر النيجر، ومن أشهر المحاصيل الفول السوداني والأرز والقمح والبطاطا والذرة. أمّا في منطقة السافانا فتكثر المراعي، وتربى الماشية بأعداد كبيرة. وتصدر النيجر أعداداً هائلة من الماشية كما تصدر اللحوم.

والنيجر غني بثرواته المعدنية التي تشمل المواد المشعة والقصدير والحديد الخام والمنجنيز، وهناك آمال كبيرة تنعقد على البترول والغاز.

ولا توجد للنيجر منافذ طبيعية إلا عن طريق نيجيريا. والعلاقات بين البلدين طيبة؛ فقبائل الهوسا تسكن جنوبي النيجر وشمال نيجيريا وبينهما وحدة الجنس والدين الإسلامي.

وعاصمة النيجر هي نيامي.

السودان النيلي يدخل ضمن ديار الإسلام:

تأخر انتشار الإسلام في السودان حتى القرن الثامن الهجري. وقد يرجع ذلك إلى اندفاع المسلمين بعد إتمام فتح مصر إلى الساحل الإفريقي غرباً، مما شغلهم عن الاتجاه نحو الجنوب. ومع ذلك فإنه لا يمكن إغفال أثر هجرات القبائل التي كانت تعبر صحراء مصر الشرقية زاحفة إلى الجنوب، أو تدخل شرق السودان حيث تسكن قبائل البجة.

ويمكننا أن نتتبع انتشار الإسلام في السودان من خلال المراحل التالية:

كان وصول محمد بن عبد اللّه القميِّ إلى بلاد المعدن بمصر (بين قوص وعيذاب على ساحل البحر الأحمر) ليتولى ولايتها بعد إخضاعه للمنطقة قد اضطر سكان المنطقة من البجويين إلى طلب الهدنة، وذهب رئيس البجة إلى سامراء (سر من رأى)، حيث عقد الصلح مع الخليفة المتوكل على أداء الجزية، وألا يُمْنَعَ المسلمون من العمل في معدن الذهب.

أتم المسلمون السيطرة على ساحل البحر الأحمر المقابل لليمن، وفتحوا البلاد لمن أراد أن يستخرج الذهب، وكانت بلاد مريس من الشلال الأول حتى الشلال الرابع مفتوحة للمسلمين للتجارة كيف شاءوا حتى العصر الفاطمي، وكانت أهم سلع التجارة الرقيق والماشية والجمال والحبوب.

ومدّت جماعة من عرب ربيعة سلطانها في الناحية التي تلي حدود أسوان جنوباً (القسم الشمالي من إقليم مريس) منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، والتي عرفت ببلاد المعدن، وقام شيخ أولئك العرب بخدمات كبيرة للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر اللّه.

وفي عام ٥٦٨هـ/ ١١٧٤م، دخل رئيس أولئك العرب في طاعة الفاطميين ولقبه الخليفة بلقب (كنز الدولة)، وعُرِفَ قومُه بالكنوز.

وقد نهض ثغر عيذاب نهضة كبيرة خلال العصر الفاطمي، ومدّ الفاطميون سلطانهم على جميع المنطقة الواقعة جنوبي أسوان، والتي تُعدّ عيذاب ميناءها، وتم الاتفاق بين ملك الكنوز والأيوبيين، ثم المماليك من بعدهم على تقاسم إيرادات الميناء التي زادت بسبب احتلال الصليبيين لسواحل الشام، وقيام مملكة بيت المقدس، وكان الطريق الرئيس لحجاج مصر والمغرب هو طريق وادي العلاقي بين قوص وعيذاب.

زحفت قوات الظاهر بيبرس على عرب الكنوز ومن كان يليهم من الجنوب من بربر هوارة، وأقامت على دنقلة ملكاً اسمه شكنده، يخضع لسلطان مصر. وفي عام ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م عاودت قوات المماليك حتى دنقلة، واحتلت حصون إبريم، وداو.

وأقام الناصر قلاوون في ولايته الثالثة ٧٠٩ - ٧٤١هـ/ ١٣٠٩ - ١٣٤٠م، مَلَكاً نوبيا على (مُقْرَه)، هو عبد اللّه بارشومبو ٧١٦هـ/ ١٣١٦م، وأنشأ عبد اللّه مسجداً في دنقلة ما زال موجوداً حتى اليوم.

وخلال القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، كان حكام منطقة الأيواب، جنوبي مقرة يتعاونون مع سلاطين المماليك، وكانت الهدايا تحمل إلى السلطان المملوكي من دنقلة.

وقد تكاثر العرب هناك وتزاوجوا مع أهل البلاد، مما أدّى إلى انتشار الإسلام، وبدأ العرب المسلمون يسودون مناطق السواحل حتى سواكن، بل وصل العرب إلى منطقة كسلا.

مملكة الفونج:

قامت مملكة الفونج كأول دولة إسلامية ذات قواعد سياسية وإدارية ونظام قائم في السودان النيلي جنوب مصر.. ويذهب المسعودي والمقريزي إلى أن الفونج من نسل أمراء من بني أمية فروّا من العباسيين وذهبوا إلى الحبشة، ثم صعدوا مع النيل الأزرق حتى منطقة سنار.. وقد قامت دولة الفونج عام ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م، على أنقاض دولة المنج التي كانت قد أنهكتها الحروب الداخلية القبلية. وكانت حدود دولة الفونج من سواكن شرقاً إلى النيل الأبيض غرباً، ومن أقصى جبال فازوغلي جنوباً إلى الشلال الثالث شمالاً.

وبعد استيلاء العثمانيين على مصر عام ٩٢٤هـ/ ١٥١٧م مدّ العثمانيون حدودهم من مصر جنوباً حتى سواكن ومصوع، وذلك عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م، إلا أن الفونج أقنعوا العثمانيين بأنهم عرب مسلمون لا داعي لأن تخشاهم الدولة العثمانية، فاكتفت بأن وضعت هناك حاميتين عسكريتين.

وعندما تفككت دولة الفونج كانت الجماعات القبلية السودانية التي نشأت عن ذلك التفكك تعدّ نفسها قبائل عربية دينها الإسلام. وكان العلماء والفقهاء من مصر قد تكفلوا بتعريف أهل السودان بالإسلام إلى جانب طلاب السودان الذين رحلوا لطلب العلم في مصر وعادوا فقهاء وشيوخاً أجلاء يقومون بواجبهم في هذا السبيل.

والسودان من البلاد التي دخلها الإسلام بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، فقد سرى هناك في هدوء يملأ القلوب بالسكينة والإيمان.

***

الفهرست

انتشار الإسلام في إفريقيا

القاموس الإسلامي

للناشئين والشباب

إعداد ومراجعة: نخبة من أعلام الكُتَّاب والباحثين

هذا القاموس محاولةً غير مسبوقة في صياغته وإعداده وفي الفئة التي أعدَّ من أجلها إعداداً يتناسب في مادته ولغته وأسلوب عرضه مع احتياجاتها الفكرية والنفسية والتربوية.

إنه قاموس متخصص يعالج المصطلحات الشرعية اللازمة لتثبيت المفاهيم الإسلامية الصحيحة لدى الناشئين والشباب في العبادات والمعاملات، ويوفر لهم الزاد اللازم عن أبرز معالم الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، والقيم التي أرساها الإسلام ورسَّخ أصولها.

ويتكون هذا القاموس من خمسة عشر جزءاً تتضمن المواضيع التالية:

- (١) العقيدة
- (٢) الطهارة
- (٣) الصلاة
- (٤) الزكاة
- (٥) الصوم
- (٦) الحج والعمرة
- (٧) الجهاد
- (٨) الأسرة المسلمة
- (٩) المعاملات الإسلامية
- (١٠) انتشار الإسلام في آسيا
- (١١) انتشار الإسلام في إفريقيا
- (١٢) انتشار الإسلام في أوروبا
- (١٣) نظم الحكم في الدولة الإسلامية
- (١٤) ازدهار العلوم والفنون الإسلامية
- (١٥) مفاهيم وقيم إسلامية

ردمك ٦-٣٩٥-٢٠-٩٦٠

970805060000206